الخط الأمامي

لسان حال تيار اليسار الثوري في سوريا

العدد 79 تشرين الثاني/نوفمبر 2024

تحرر الكادحين من صنع الكادحين أنفسهم

الإفتتاحية:
لا مكان للحياد في مواجهة العدوان الصهيوني – الامبريالي

02

فلسطين تواصل القتال... عندما يتعب الجميع

04

نحو فلسطين الغد "هيئة تحرير فلسطين"

07

الاشتراكي الألماني ينتقد اقتراحا جديدا بشأن فلسطين

17

هل وصول ترامب سيعني نهاية النظام "القائم على القواعد"؟

18

لماذا انهار الائتلاف الحاكم في ألمانيا؟

19

لا مكان للحياد في مواجهة العدوان الصهيوني – الامبريالي

تدور رحى الحرب الإبادية التي تشنها دولة الاحتلال الصهيوني على الشعبين الفلسطيني واللبناني منذ أكثر من عام، بمشاركة مباشرة من الإمبريالية الغربية مع تواطؤ وقح للانظمة العربية. ولتغطية هذه المجزرة تقوم الامبرياليات الغربية وفي مقدمتها الأمريكية بشلّ كامل الأمم المتحدة المفترض فيها أنها معنية بالسلام العالمي، وتشل حتى المنظمات الإنسانية والأغلبية. والانكى من ذلك فإن المؤسسات الإعلامية الكبرى المرئية والمقروءة تمارس هي أيضا بدورها تشويه الحقائق وتبرير المذابح بحق الشعبين الفلسطيني واللبناني وتدافع عن الدولة الصهيونية و حقها بالدفاع عن النفس" .

ما هو بعد اسوأ من ذلك هو ذلك الجنوح للأطياف الليبرالية المعارضة وبالأخص في سوريا أما لمساواة الضحية مع الجلاد وفي الأغلب لإدانة الضحية ودعم الجلاد.

وأن كان في خلفية ذلك لدى بعض المعارضين البسطاء هو ردة فعل لا عقلانية على دور حزب الله في سوريا بجانب النظام، ولدى البعض الآخر لكون حماس من أصول إخوانية، والإخوان المسلمين في سوريا مع الليبراليين اودوا بالثورة السورية إلى هزيمة دامية. لكن كتلة كبيرة من هؤلاء المعارضين وصلت بهم الوقاحة إلى حد التشفي بما تتعرض له المقاومة و الترحيب بل دعم الحرب الابادية الصهيونية، وصلت حد العمالة عند بعضهم.

في هذا الجو من الاصطفاف المحموم حول قضايا مصيرية لا تتعلق بمصير الشعبين الفلسطيني واللبناني فحسب بل بمصير سوريا وعموم الإقليم ومستقبلها، لا بد لنا من تحديد التخوم ومن هو العدو ومن هو الصديق، في هذه اللحظة المفصلية.

في مواجهة الحرب الصهيونية الامبريالية نقف بحزم مع قوى المقاومة الشعبية، أيا كان نقدنا و تقييمنا لتناقضاتها وطبيعتها الطبقية.

فقد وقفت قوى اليسار والتحرر مع مقاومة الشعب الأفغاني ضد الغزو الفرنسي ومن بعده الأمريكي في فيتنام، أيا كان موقفها من طبيعة القوة السياسية التي تقود هذه المقاومة. ونفس الموقف كان مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية في مواجهة الاحتلال الفرنسي، وايضا مع حركة التحرر الكردي منذ كانت بقيادة الملا مصطفى البارزاني إلى يومنا هذا.

لسنا من يقرر طبيعة القوى السياسية التي تقود حركات التحرر بل شعوب البلدان المستعمرة ونتائج الصراع الطبقي فيها. هذا لا يلغي الحق في نقدها في ايديولوجيتها وسياساتها ولكن في مواجهة قوى الاستعمار والامبريالية نقف بحزم مع كفاحها.

من ذلك، أثارت حفيظة البعض أن حزب الله في لبنان هو الذي يتصدى للعدوان الصهيوني- الامبريالي وأن حماس هي من تقوم بذلك في فلسطين. ولكن حزبنا لا يتردد لحظة في إعلان تضامنه مع المقاومة اللبنانية التي يقودها حزب الله. ومع المقاومة الفلسطينية التي تقودها حماس.

أما حجة أن تكلفة مواجهة الحرب الصهيونية- الامبريالية باهظة جدا على صعيدي الأرواح والممتلكات، وبالتالي لا معنى للمقاومة، فإن كانت التكلفة أمر صحيح تماما. ولكن لا يمكن تحميل الضحية تبعات وحشية الجلاد. ولا يعني ذلك أن لا تقاوم الشعوب المستبد والمستمر، بحجة أن التكلفة ستكون باهظة. وتاريخ البشرية يعطي مئات الأمثلة على ذلك. المقاومة، رغم التضحيات، هي التي تقتحم سطوة الاستعمار والاستغلال والاستعباد وتفتح آفاق التطور والتحرر والتنمية للشعوب.

وأخيرا، نتعلم من خبرات اليوم والماضي، أن تحرر الشعب الفلسطيني، وتحرر شعوبنا عموما، يمر بثورة عارمة تسقط أنظمة الفساد والعمالة والاستغلال في المنطقة.

نقف بوضوح وحزم وبلا تردد مع مقاومة الشعبين الفلسطيني واللبناني حتى النصر.

تيار اليسار الثوري

تشرين الأول/نوفمبر 2024

Di rûbirûbûna êrîşên siyonîst-emperyalîst de cihê bêalîbûnê nîne

Şerê qirkirinê yê ku dewleta dagirker a siyonîst li dijî gelên Filistînî û Libnanî dimeşîne, ev zêdetirî salekê ye ku bi beşdariya rasterast a emperyalîzma rojava û hevkariya bêşerm a rejîmên erebî, gur dibe. Ji bo veşartina vê qetlîamê, emperyalîzma rojavayî, bi pêşengiya Amerîka, tevahiya Neteweyên Yekbûyî, ku tê texmînkirin bi aştiya cîhanê re eleqedar e, felc dike û rêxistinên mirovahî û piraniyê jî felc dike. Tiştê ku ji wê xerabtir e ew e ku saziyên sereke yên medyaya dîtbarî û çapkirî jî rastiyan berovajî dikin û qetlîamên li dijî gelên filistînî û lubnanî rewa dikin û dewleta siyonîst û mafê wê yê xweparastinê diparêzin.

Ya xerabtir jî meyla aliyên lîberal ên opozisyonê ye, bi taybetî li Sûriyê, ku qurbanî bi sêdar re bikin yek, û bi piranî şermezarkirina qurbanî û piştgirîkirina sêdar.

Tevî ku di paşperdeya vê yekê de, di nav hin dijberên sade de, ev reaksîyoneke neaqilane ye li hember rola Hizbullah'ê li Sûriyê li kêleka rejîmê, û di nav yên din de, ji ber ku Hemas bi eslê xwe Îxwan e, û Birayên Misilman li Sûriyê ligel lîberalan. şoreşa Sûriyê ber bi têkçûneke bi xwîn ve bir. Lê blokeke mezin ji van dijberan gihişte wê astê ku gazincên xwe li ser tiştên ku berxwedan tê kirin û pêşwazî kirin û heta piştgirîkirina şerê jenosîdê yê siyonîstan kirin, û gihîştin wê astê ku hin ji wan bikar bînin.

Di vê atmosfera lihevhatina hovane de li ser mijarên girîng ên ku ne tenê bi çarenûsa gelên Filistînî û Libnanî ve girêdayî ne, lê her weha bi çarenûs û paşeroja Sûriyê û tevahiya herêmê ve girêdayî ne, divê em sînoran diyar bikin, kî dijmin e û kî ye. heval, di vê kêliya bingehîn de.

Li hemberî şerê siyonîst-emperyalîst, em bi hêzên berxwedana gel re, bêyî ku rexne û nirxandina nakokî û cewhera wan a çînî hebe, bi hêz radiwestin. Hêzên çep û rizgariyê bi berxwedana gelê Afganîstanê ya li dijî dagirkeriya Fransa û piştre jî ya Amerîkayê ya li Vîetnamê rawestiyan, helwesta wan a li ser cewherê hêza siyasî ya pêşengiya vê berxwedanê çi dibe bila bibe. Heman helwest bi Eniya Rizgariya Netewî ya Cezayîrê re li hember dagirkeriya Fransa û her wiha bi tevgera rizgariya Kurd re bû, ji ber ku heta roja me ya îro Mela Mistefa Barzanî serokatiya wê dikir.

Em ne yên ku biryarê li ser cewherê hêzên siyasî yên ku pêşengiya tevgerên rizgarîxwaz dikin, belkî gelên welatên kolonyalîst û encamên têkoşîna çînan di wan de ne. Ev yek mafê rexnekirina wê di îdeolojî û polîtîkayên xwe de red nake, lê li hemberî hêzên kolonyalîzm û emperyalîzmê em bi têkoşîna wê re bi hêz radiwestin.
Ji ber vê yekê hêrsa hin kesan rabû ku Hizbullah li Lubnanê ew e ku rûbirûyê êrîşa siyonîst-emperyalîst dibe û Hamas jî li Filistînê vî karî dike. Lê partiya me ji bo ragihandina hevgirtina xwe bi berxwedana Lubnanê ya bi pêşengiya Hizbullahê re bîskekê dudilî nake. Û bi berxwedana Filistînê ya bi pêşengiya Hamasê.

Derbarê argumana ku lêçûna rûbirûbûna şerê sîyonîst-emperyalîst ji aliyê can û mal û milk ve gelekî zêde ye û ji ber vê yekê eger lêçûn bi temamî rast be tu wateya berxwedanê nîne. Lê mexdûr nikare ji encamên hovîtiya celladê berpirsyar were girtin. Ev nayê wê wateyê ku divê mirov li hember zalim û zalim li ber xwe nede, bi hinceta ku dê lêçûn zêde be. Dîroka mirovatiyê bi sedan mînakên vê yekê dide. Berxwedan, tevî fedakariyê jî, hêza kolonyalîzm, îstîsmar û koletiyê dagir dike û ji gelan re asoyên pêşketin, rizgarî û pêşketinê vedike.

Di dawiyê de, em ji serpêhatiyên îro û berê hîn dibin ku azadkirina gelê Filistînê û azadkirina gelên me bi giştî, di şoreşeke mezin re derbas dibe ku sîstemên gendelî, ked û îstîsmarê li herêmê hilweşîne.

Em bi berxwedana gelên Filistînî û Lubnanê heta serketinê bi zelalî, bi hêz û bê dudilî radiwestin.
Tevgera Çep a Şoreşger

فلسطين تواصل القتال...عندما يتعب الجميع

ترتبط هزيمة الصهيونية على المدى الاستراتيجي، على الصعيد العالمي، بهزيمة البرجوازية العالمية، مشعلة الحروب العدوانية، وإقليميا ببروز قوة فكرية وسياسية تواجه الخدم المذلولين، أنصار الليبرالية المشوهة، المشبعة برائحة الإسلاموفوبيا الكريهة، بما هي إيديولوجيا رجعية، تجد جذورها في الفكر الاستشراقي العنصري، تقوم على كراهية الإسلام ومعاداته بشكل شرس وعنصري ومنهجي، واعتباره كتلة فكرية رجعية متراصة لن يأت منها سوى الإرهاب والتخلف والظلامية.

تؤكد المقاومة الفلسطينية، مرة أخرى، أن تعاليم الإسلام يمكن أن تفضح المؤامرات السرية التي تحاك ضد شعب فلسطين، تمهيدا لتهجيره وتصفية قضية حقه في تقرير مصيره بشكل كامل، بمثل ما يمكن أن تخاطِب المقهورين والمضطهدين، وتقودهم إلى مواجهة أبشع وأشرس تحالف إيديولوجي وسياسي وعسكري عرفه التاريخ، في مواجهة مدينة صغيرة معزولة، جائعة، باردة، عطشانة، ومحاصرة، لكنها عصية على الركوع والترويض، ومقاومة صغيرة من حيث حجم العتاد ونوعيته وعدد المقاتلين، لكنها مؤمنة، صادقة، عنيدة، جبارة، شجاعة ومتبصرة، ونظرها بعيد.

تثبت المقاومة أن عقيدة الفقراء والمضطهدين التي جاءت مع النبي محمد عليه الصلاة والسلام، لن تظل حِكرا على معسكر الثروة والسلطة والمال والتواطؤ والخيانة...حيث يمكن أن تشكل مخزونًا جبارًا وطاقة احتجاجية لا تنضب للشعوب التواقة لنيل حريتها.

الضربات التي يتكبدها شعب غزة ومقاومتها قاسية ولا تطاق، لكن مع ذلك، جعلت كل التواقين للتحرر من طغيان الامبريالية وأذنابها في المنطقتين العربية والمغاربية، تتطلع إلى الأمام "ليس بالأمل فقط بل باليقين في النصر القادم".

يحي ى السِّن وار وباقي قادة المقاومة الذين تم اغتيالهم، لم يعودوا بيننا- ويا للحزن والخسارة- لكنهم سيظلون حاضرين في ذاكرة التاريخ ووجدان الإنسانية الحرة، وستستمر أجيال اليوم والغد في القتال تحت رايتهم؛ راية الحرية والكرامة.

شكرا للمقاومة الفلسطينية التي تعلِّم الناس في كل مكان، بدماء أبنائها وتضحياتهم التي فاقت ما قد تتحمله الجبال، كيف يكرهون أعداء الحياة، الإمبرياليين والصهاينة وخدمِهم الصغار في شرق المتوسط وفي كل مكان...وبسبب ذلك بالضبط أثارت المقاومة كراهية خدام الغرب الإمبريالي الاستعماري العنصري لها من أشباه الليبراليين والحداثيين والمعتدلين والمساومين والعقلانيين.. وأنصار السلام الزائف، والمزايدين على المقاومة، بكون ما أقدمت عليه في السابع من أكتوبر المجيد، لا يعدو أن يكون سوى مغامرة، بالنظر إلى عدم توازن القوى بين المقاومة ودولة الكيان الصهيوني، وهذه مجرد ذريعة وخدعة يثيرونها لإخفاء حقدهم الثابت للمقاومة.. وكأن مقاومة هوشي منه ورفاقه للامبريالية الفرنسية، ثم الأمريكية فيما بعد، تمت في ظروف سِمتها تكافؤ الإمكانيات والقوة، ونفس الشيء ينسحب على مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي للإسبان، ومقاومة العربي بن المهدي ورفاقه للاستيطان الفرنسي...ومقاومة مانديلا لنظام الميز العنصري!!!

محمد بوطيب

الرباط، 29 أكتوبر 2024

إنضموا
إلى قناة
الخط الأمامي
على واتساب

المحكمة الجنائية الدولية تصدر مذكرة توقيف بحق مجرم الحرب الإسرائيلي نتنياهو

أثار إصدار المحكمة الجنائية الدولية مذكرتي توقيف بحق رئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو ووزير دفاعه السابق يوآف غالانت، بتهمة ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في غزة، موجة من ردود الفعل الدولية والمحلية، إلى جانب تداعيات محتملة على مستقبل قيادة الكيان الإرهابي ومكانته على الساحة العالمية، حسب ما نقلته صحيفة نيويورك تايمز الأميركية.

ويمثل قرار المحكمة تهديدا مباشرا لحرية حركة نتنياهو وغالانت، إذ قد يُعتقلا في حال دخولهما إلى أي من الدول الـ124 الموقعة على نظام روما الأساسي، بما في ذلك معظم الدول الأوروبية. وهذا التهديد يقيد بشكل كبير مشاركتهما في المحافل الدولية، ويعزز من عزلة الكيان الصهيوني دبلوماسياً.

ويأتي قرار المحكمة في وقت حساس، إذ يواجه الكيان الصهيوني انتقادات دولية متزايدة بسبب عملياته العسكرية في قطاع غزة والضفة الغربية ولبنان. ويمكن أن يزيد القرار من الضغوط الداخلية على نتنياهو، الذي يواجه بالفعل احتجاجات واسعة بسبب سياساته في الحرب والإصلاح القضائي.

ورفض مكتب نتنياهو القرار، واصفا إياه بأنه "سخيف" و"منحاز"، وأكد أن الكيان الصهيوني سيواصل عملياته العسكرية لتحقيق أهدافه الأمنية.

وفي السياق، أدلى وزير خارجية الكيان الصهيوني الإرهابي جدعون ساعر بتصريح يصف فيه المحكمة بأنها "أداة سياسية تستهدف إسرائيل بلا أساس قانوني". وأعاد قرار المحكمة فتح النقاش حول دور الكيان الصهيوني في المجتمع الدولي ومدى احترامه القانون الدولي.

في المقابل، لقي القرار ترحيباً واسعاً بين الفلسطينيين، إذ قال أحد زعماء القبائل "شعرنا ببعض الطمأنينة في قلوبنا عند سماع هذا الخبر. نحث الدول على تنفيذ القرار، ونأمل ألا تستخدم

الولايات المتحدة نفوذها لتعطيله".

بدورها، أكدت معظم الدول الأعضاء في المحكمة أنها ملزمة بتنفيذ مذكرات التوقيف. وقال مسؤول السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل إن قرار المحكمة "ملزم ويجب احترامه".

أما الولايات المتحدة، فرفضت القرار بشدة، ووصفته بأنه يفتقر إلى "الشرعية"، وأن المحكمة الجنائية الدولية لا تملك ولاية قضائية في هذه القضية.

لكن خطوة المحكمة الجنائية الدولية هي ضربة مدمرة للكيان الصهيوني وداعميه الغربيين. وكشف خان في وقت سابق أن "قائدا كبيرا" أخبره أن المحكمة الجنائية الدولية "بنيت لأفريقيا وللبلطجية مثل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين" ، وليس للغرب وحلفائه.

والآن يواجه قادة الكيان الصهيوني الإرهابي، الذين يعتبرهم الغرب "الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط"، الاعتقال بتهمة ارتكاب جرائم حرب.

ويأتي إعلان المحكمة الجنائية الدولية في الوقت الذي تحاول فيه الولايات المتحدة ووالكيان الصهيوني عرقلة التحركات نحو وقف إطلاق النار في لبنان. وأيد 14 عضوا في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة اتفاق وقف إطلاق النار يوم الأربعاء لكن الولايات المتحدة استخدمت حق النقض (الفيتو) ضد الاتفاق.

يظهر الفيتو الأمريكي دعمها المتصلب للكيان الصهيوني. بينما تتطلع الولايات المتحدة إلى تأمين مصالحها في الشرق الأوسط، يعرف بنيامين نتنياهو أنه يحظى بالدعم الكامل من بايدن ودونالد ترامب. فمن الضروري اليوم الاستمرار في تعبئة الحركات الفلسطينية والمجموعات الداعمة لها في الغرب لإنهاء جميع مبيعات الأسلحة إلى هذا الكيان الإرهابي.

تداعيات القرار على الكيان الصهيوني
العزل الدبلوماسي: يزيد القرار من عزلة الكيان الصهيوني في المجتمع الدولي، خصوصا بين الدول الموقعة على المحكمة، ما قد يعوق العلاقات الدبلوماسية والتعاون العسكري مع بعض الدول.
قيود السفر: يعيد القرار وضع القادة الصهاينة تحت مجهر القانوني الدولي، مما يجعل سفرهم خارج حدود الكيان الصهيوني محفوفا بالمخاطر.
إضعاف الموقف الصهيوني: قد يعزز القرار الانتقادات الدولية ضد العمليات العسكرية الصهيونية، ويضعف من الدعم الذي تتلقاه من حلفائها، خاصة في أوروبا.
ورغم القيود القانونية التي تواجه المحكمة الجنائية الدولية في تنفيذ مذكرات التوقيف، فإن القرار يحمل رمزية قوية تعكس تغيرا في الموقف الدولي تجاه الكيان الصهيوني.

وضرب الكيان الصهيوني أكثر من 100 هدف في لبنان يوم الأربعاء. و قتلت الدولة الإرهابية أكثر من 2,700 شخص في لبنان منذ أن بدأت قصفا مكثفا في سبتمبر و اجتياحا بريا الشهر الماضي. وأكثر من 200 من ضحايا العدوان الصهيوني هم من الأطفال.

الخط الأمامي

العدوان الصهيوني على لبنان يثقل الاقتصاد السوري المتهالك

بخلاف الوضع في العام 2006، حين كانت سوريا أكثر تماسكاً اقتصادياً، بدأت التداعيات السلبية للنزوح من لبنان نحو سوريا بالظهور خلال فترة قياسية، لا تتجاوز بضعة أيام.

ألقت الحرب على اللبنانية بثقلها على الواقع الاقتصادي والخدمي المنهار في سوريا، على شكل ارتفاع في معظم أسعار السلع، بنسب تتراوح بين 10 و20%.

قفزة في الأسعار

ورصدت "الخط الأمامي" ارتفاع أسعار الوقود في السوق السوداء، بدمشق وريفها، في ظل شحّ واضح في هذه المواد. وصل سعر جرة الغاز إلى 250 ألف ليرة (الدولار يساوي 14 ألفاً و650 ليرة سورية)، بينما تجاوز سعر جرة الغاز المهربة من لبنان/ النصف مليون ليرة، مع ندرتها بسبب تأثير الحرب على خطوط التهريب، كما وصل سعر ليتر البنزين إلى 28 ألف ليرة، والديزل إلى 30 ألف ليرة.

وطاولت قفزة الأسعار معظم المواد الغذائية التموينية. وصعد سعر ليتر الزيت النباتي من 21 ألف ليرة إلى 27 ألفاً، والسمن النباتي إلى 50 ألفاً، و قفز كيلو الرز إلى 20 ألفاً، والعدس إلى 24 ألفاً، وارتفع كيلو السكر من 10 آلاف ليرة إلى 13 ألفاً.

وتوقفت معظم وسائل النقل العامة والخاصة قبل أيام عن العمل، بسبب النقص الحاد في مادة المازوت اللازمة لتشغيل الحافلات، ومن بينها شركة "طروادة" التي أعلنت توقيف جميع رحلاتها، وشركة "القدموس" التي ألغت رحلاتها إلى دمشق، بسبب عدم توفر مادة المازوت، ليتم حل المشكلة لاحقاً بشكل مؤقت، عبر تأمين مادة المازوت المتاحة من خلال البطاقة الذكية.

الأزمة ستتفاقم

وتؤشر التصريحات المتناقضة من مسؤولي نظام الطغمة حول شحّ الوقود وموجة الغلاء الجديدة، على أن الحكومة لن تستطيع السيطرة على الأزمات المتفاقمة الناجمة عن النزوح وتداعيات الحرب. وتفاوتت التصريحات بين نكران كامل لقفزات الأسعار وشح المواد، أو إرجاع أسباب الأزمة إلى تضرر خط تهريب المحروقات الآتي من لبنان، أو إلى صعوبة الشحن وارتفاع التكاليف عبر البحر الأحمر.

ما القطاعات الأكثر تضررا؟

ولن تتوقف حدود الانعكاسات السلبية للحرب على غلاء الأسعار، بل يمكن أن تتجاوز إلى ارتفاع في معدلات البطالة، وندرة فرص العمل، مع تزايد أعداد الشباب الوافدين، يُضاف إليها ارتفاع أسعار إيجارات المنازل، وفقاً لحديث وزير الاقتصاد في الحكومة السورية المؤقتة عبد الحكيم المصري للإعلام المحلي.

ويوضح المصري أن "السلع الأساسية لن تغدو في متناول الجميع في حال طالت مدة الحرب، خاصة الخبز الذي يُوزع بكميات محدودة، ما سيحرم قسم كبير من الوافدين من هذه المادة، ويجبر الميسورين منهم على شراء الخبز السياحي بأسعار كبيرة".

وبناء على ما سبق، يرجح المصري أن "القطاعات الأكثر تضرراً، تتمثل في السكن والعمل والمواد الأساسية سواء الغذائية أو المنظفات، والخبز والمحروقات والنقل".

وكالات_الخط الأمامي

نحو فلسطين الغد "هيئة تحرير فلسطين"

كتب المقال: ألان علم الدين، كاتب من بلاد الشام، وعناية عطاالله، لاجئة فلسطينية

أدرك الشهيد القائد يحيى السنوار أن المقاومة أداة لتحقيق غاية سياسية: إقامة دولة فلسطين من النهر إلى البحر. ولذا لم يؤجّل تكوين تصوّر لشكل هذه الدولة إلى ما بعد التحرير.

ففي عام 2021 رعى السنوار مؤتمرًا بعنوان "وعد الآخرة: فلسطين بعد التحرير" أعلن فيه أن "رعايتنا لهذا المؤتمر تأتي انسجاما مع رؤيتنا لاقتراب النصر". وقد هدف المؤتمر لتقديم توصيات متعلقة بشكل الدولة الفلسطينية وبكيفية التعاطي مع عدة مسائل كتنظيم عودة اللاجئين ومصير المستوطنين وشروط السماح ببقائهم والتعاطي مع قوانين دولة الاحتلال ومع الاتفاقات الدولية المبرمة معها وغيرها. كما أن السنوار كان يعلم أن أساليب النضال متعددة ويدرك الحاجة لتنسيق المهام بينها، فدعى المؤتمر لتأسيس "هيئة تحرير فلسطين" وهي "مجموع القوى الفلسطينية والعربية المتبنية لفكرة تحرير فلسطين" ومسؤوليتها تنسيق الجهود بين هذه القوى ضمن خطة تحررية.

استشهد السنوار قبل أن يرى بلورة أعمق لرؤيته لدولة فلسطين الغد وتشكيل إطار تنسيقي للدفع قدمًا بهذه الرؤية. ولأن الحاجة لهذين الأمرين ملحة اليوم، من المفيد استعراض بعض توصيات المؤتمر من باب فتح النقاش ومواءمة رؤيتنا لعملية التحرر، والنظر في خطوات عملية بغية تشكيل هيئة لتحرير فلسطين.

توصيات مؤتمر السنوار

إن "الاحتلال" في جوهره نظام سيطرة مفروض على شعب ما من خارجه. والتحرير بجوهره هو مشروع لهزيمة هذه السلطة واحلال سلطة تعبّر عن تطلعات أصحاب الأرض مكانها. لذا، امتلكت على مرّ التاريخ حركات التحرر الوطنية رؤى لمستقبل مجتمعاتها، أي لشكل الدولة بعد التحرير. وتأتي توصيات المؤتمر في هذا الإطار.

على سبيل المثال، أوصى المؤتمر أنه "يجب التدرُّج في إعادة اللاجئين الفلسطينيين، وعمل دليل يشرح آلية العودة المنظمة، وتشجيع أصحاب رؤوس الأموال من الفلسطينيين للمساهمة في عمليات الإسكان والتشغيل والاستثمار. يجب إعادة الأرض لأصحابها طالما أنه لم تقم عليها مصالح وإنشاءات ذات بعد استراتيجي، ويعوض أصحابها تعويضا عادلا، إما بالبدل النقدي أو البدل العقاري." (التوصية 17)

وماذا عن مصير المستوطنين بعد التحرير؟ أوصى المؤتمر أنه "يجب التمييز في معاملة اليهود المستوطنين في أرض فلسطين، ما بين محارب يجب قتاله، وهارب يمكن تركه أو ملاحقته قضائيًّا على جرائم، أو مسالم مستسلم يمكن استيعابه أو إمهاله للمغادرة" (التوصية 15). ولفت النظر إلى الحاجة "للاحتفاظ باليهود العلماء والخبراء في مجالات الطب والهندسة والتكنولوجيا والصناعة المدنية والعسكرية لفترة وعدم تركهم يغادرون بالمعارف والعلوم والخبرات التي اكتسبوها وهم يقيمون على أرضنا ويأكلون من خيرنا ونحن ندفع ثمن ذلك كله من ذلنا وفقرنا ومرضنا وحرماننا وقتلنا وسجننا." (التوصية 16)

كما أن المؤتمر لم يغفل عن تقديم رؤية بخصوص التعاطي مع قوانين دولة الاحتلال ومع الاتفاقات الدولة الموقعة معها، إذ أوصى "بالعمل بالقوانين التي كانت سارية المفعول قبل إقامة الدولة المستقلة طالما أنّها لا تتنافى والمبادئ المشتملة عليها وثيقة إعلان دولة فلسطين أو تتعارض والقوانين التي ستسن وتقر في المرحلة الانتقالية أو ما بعد المرحلة الانتقالية لحين توحيد التشريعات في فلسطين، لأن زوال الدول لا يعني زوال الآثار القانونية والقانون لا يلغي ولا يعدل إلا بقانون آخر." (التوصية 5) وأضاف أن "مصير الاتفاقيات الدولية الموقعة من طرف الاحتلال أو السلطة الفلسطينية يتعلق بإرادة دولة فلسطين حال التحرر" وأوصى "بتشكيل لجنة خبراء قانونيين تعمل من الآن على دراسة كافة الاتفاقيات والمعاهدات والمنظمات التي انضمت لها دولة (إسرائيل) وتحديد المعاهدات التي ستورث لدولة فلسطين باختيارها والأخرى التي لا تورث." (التوصية 9)

"هيئة تحرير فلسطين"

تمايزت أولى ثلاث توصيات بخصوص "هيئة تحرير فلسطين" بتعلقها بشكل رئيسي بعملية التحرير نفسها. فدعت "لتشكيل هيئة تحرير فلسطين من مجموع القوى الفلسطينية والعربية المتبنية لفكرة تحرير فلسطين، مدعومة بحلف من الدول الصديقة". وحدّدت مسؤوليتها "بوضع خطة توظِّف طاقات الأمة، وتوزيع الأدوار على مكوناتها، كل حسب قدراته." وفور التحرير تتحول أمانة الهيئة العامة إلى "مجلس تنفيذي برئاسة مجلس رئاسي مؤقت حتى إجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية وتشكيل حكومة جديدة". وهذا ما يذكرنا بجبهة التحرير الوطني الجزائرية التي قادت عملية التحرير في الجزائر فوحّدت الصوت الثائر وفاوضت باسم الثورة، ثم شكّلت "الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية" وصولًا لتوقيع اتفاقيات "إيفيان" مع فرنسا. وقد لعبت جبهة "الفيت مين" و والمؤتمر الوطني الإفريقي أدوارًا مماثلة في مأسسة حركات التحرر الوطنية في فيتنام وأفريقيا الجنوبية. دون إغفال، طبعًا، الاختلافات بين هذه التشكيلات، وبينها وبين هيئة تحرير فلسطين.

وقد أظهرت السنة الماضية الحاجة لوجود هذه الهيئة التنسيقية، إذ تبين أنه يكاد لا يوجد أي تنسيق بين القوى المتبنية لتحرير فلسطين. فالجهود التحررية من ناحية حرب السرديات والمقاومة المسلحة والجهد الإعلامي والمقاطعة والعمل المباشر وتنسيق الفعاليات والجهود القانونية وغيرها تمّت "كلّ على حدة". وهذا ما هدر الطاقات وفوّت الفرص، إضافةً إلى تشتيت الخطاب. على سبيل المثال، لم تتبنَّ قوى التحرير موقفًا موحّدًا من "القرارات الدولية". ففي حين قرّر البعض الاستفادة من سقوط قناع "المجتمع الدولي" للدفع باتجاه المخاصمة على "شرعية" النظام العالمي الاستعماري، بما في ذلك القرارات الدولية المتعلقة بتقسيم فلسطين وبشرعية الكيان، أعلنت الفصائل المقاومة مرارا

وتكرارا اعترافها بالـ"قرارات الدولية"، ومنها بيان موسكو الذي تكلّم عن "إقامة الدولة الحرة المستقلة كاملة السيادة على جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة وعاصمتها القدس وفقا للقرارات الدولية." فهل نخضع أم لا نخضع للقرارات الدولية؟

أما الردّ على اتهام العدو للمقاومة بـ"استهداف المدنيين"، وهو الحجة الرئيسية التي استخدمه لتبرير حرب إبادته، فأتى من حركة حماس في عدة أشكال ومنها ملف "هذه روايتنا.. لماذا طوفان الأقصى؟" الذي أعلن أنه في 7 تشرين تمّ "تجنُّب استهداف المدنيين، وخصوصاً النساء والطفال وكبار السن، هو التزامٌ ديني وأخلاقي يتربّى عليه أبناء حماس". وأكّد أن "استهداف جناح حركة حماس العسكري هو لجنود الاحتلال، ومن يحملون السلاح ضد أبناء شعبنا. وفي ذات الوقت، نعمل على تجنّب المدنيين". كما كرّر عدد من قيادات المقاومة الموقف عينه في عدة مقابلات. لكنه بالكاد تمّ بذل أي جهد لإيصال هذه الرسالة إلى الجهات المعنية والمؤثرة في "الغرب"، كالحكومات والمسؤولين السياسيين وأحزاب السلطة وأحزاب المعارضة والأحزاب الثورية والتنظيمات اليهودية المعادية للصهيونية ووسائل الإعلام التقليدية وغير التقليدية وحركات التضامن والناشطين المؤثرين وغيرهم. كما أنه لم يتمّ تظهير تبرير المقاومة في شهر أيار بالعودة للعمليات الاستشهادية على أنه ردّ على استهداف العدو للمدنيين. وعلى أنه تمّ ترجمة ملف "رواياتنا" إلى عشرة لغات، فلم تكن العبرية منها، ولم يبذل أي جهد لنقل رواياتنا للعدو من أجل اختراق مساحته وإحداث شرخ في صفوفهم والتأثير في موازين القوى المتضاربة.

وحتى فيديوهات المقاومة باللغة العبرية لم يتمّ بذل أي جهد لإيصالها للتجمع الاستيطاني. بل اعتبر العديد أنه "لا جدوى من مخاطبة الغرب ولا المستوطنين"، في تنازل مرعب عن "ساحة الغرب" لمصلحة العدو وفي تضارب صارخ مع تاريخ حركات التحرر الوطنية بشكل عام وحركة التحرر الوطنية الفلسطينية بشكل خاص ومواقف قيادات ورموز المقاومة الحالية (كليلي خالد على سبيل المثال).

www.Revoleftsyria.org

ينطبق الأمر عينه على تكرار قيادات حماس كأسامة حمدان أو موسى أبو مرزوق وقيادات الجهاد الإسلامي كمحمد الهندي رفضهم منطق "تطهير أرضنا من اليهود" وتأكيدهم الصريح على إمكانية بقائهم كمواطنين فلسطينيين متساوين بعد التحرير، ممّا يدحض البروبغاندا الصهيونية وينسجم مع توصيات المؤتمر المذكورة آنفا ومع الموقف التاريخي لحركة التحرر الفلسطينية. فلم يتمّ، للأسف، تظهير هذا الطرح لا لمستوطني الكيان ولا للخارج. وهذا ما سهّل على العدو قرع طبول الحرب في الداخل وتصوير عملية 7 تشرين العسكرية على أنها هجوم على اليهود والإيحاء لمستوطنيه أنهم تحت خطر الإبادة، وأن لا خيار أمامهم سوى "إبادة الفلسطينيين الاستباقية". كما أتاح لحلفاء العدو في أوروبا وأميركا الشمالية تصوير عنوان "الدولة الفلسطينية الواحدة" وشعار "فلسطين حرة من النهر إلى البحر" على أنهما دعوة لترحيل و/أو إبادة اليهود. ولم يتمّ تنظيم أية جهود حتى لمحاولة مواجهة خطاب العدو ولتزويد حلفائنا في الخارج بخطاب ومواد واضحة للردّ على الإدعاءات. وفي الوقت عينه، أفسح غياب الطرح التحرري الواضح المجال لتمييع القضية الفلسطيني من خلال تصويرها على أنها مطالبة بحقوق متساوية أو بإسقاط الأبرتهايد. فيما استفاد الفلسطينيون المطبعون والحلفاء الزائفون من هذه الفجوة للدفع باتجاه طروحات مساومة كطرح الدولتين أو ثنائية القومية.

إذن، الحاجة ملحة للعمل على هذين الهدفين: أولًا، بلورة رؤية واضحة لحركة التحرر الفلسطينية. وقد تشكّل توصيات مؤتمر "وعد الآخرة" أحدى نقط الإنطلاق لنقاش معمق حول رؤيتنا للتحرير وصولًا لتحديدها. وثانيًا، تكوين هيئة تحرير تتبنى هذه الرؤية وتنسّق الجهود بين القوى المتبنية لها فتمثّل الصوت الفلسطيني التحرري الواحد في عيون شعبنا كما أمام العدو والعالم. الحبيب رمى عصاه؛ فلنمسك بعصانا الآن.

عن بوابة الهدف

يا علي! حول الموقف من المقاومة

نُشِرَ هذا المقال أولا على مدونة كتابات وترجمات ذات الخط الاشتراكي الثوري الواضح، ونحن في الخط الأمامي- لسان حال تيار اليسار الثوري في سوريا إذ نجد قيمة بالغة لهذا المقال، وتعبيرًا واضحا وحازماً عن الموقف الاشتراكي الثوري الذي تم صياغته بأسلوب أدبي بليغ ورصين نعيد نشره لما له من أهمية في فهم موقفنا من المقاومة في فلسطين ولبنان اليوم.

إلى روح الشهيد عبد الكريم البرناوي (الطريق والدليل)

مقدمة

باسم الله هذا وطني
علمني ألتزم النار..
لماذا كل هذا الصمت؟" (مظفر النواب)

كان يفترض بهذا النص أن يكون مرثية لك، يا علي، لكنك لم تستشهد بعد. وأنا وإذ طال انتظاري وبحثي اليومي القلق في حساب علي شعيب على تويتر عنك، لم أكن أستعجل انتقالك إلى سدرة المنتهى، إنما كنت أبحث عن عينيك لأنني اشتقت إليهما، ستكون صورتك الأخيرة، كما انطبعت في بالي يوم رأيتك آخر مرة.

اخترت علياً اسماً لك، لسبب بديهي، إذ لبسك اسمك الجديد، لدرجة أنني نسيت اسمك الحقيقي، لقد حملت العبق الجنوبي به، تنشر الريح قبل وقوعك، الذي آمل أنه لن يحصل.

هي مسألة أنانية أن أكتب عنك، و أحدد موعد موتك أو استشهادك أو بقاءك على قيد الحياة، لا شك، لكن، أن أكتب عنك وإليك هو كل ما أملك، أو ما أستطيع فعله، أعتقد أنك ستتفهم ذلك، على الرغم من أنك لن تعرف بهذا النص، ولن تعرف كاتبه من يكون. تماماً كما لا يعرف كثيرون، حتى الآن، من أنت ومن تكون. ولأنك كذلك، شغلت (وما زلت) مكانة كبيرة في قلبي طوال هذه الأشهر الماضية، عندما عرفتك من عينيك في وقت سابق، من بين آلاف العيون.

لماذا نذهب إلى الحرب؟

بهذه الكلمات سأل الشهيد باسل الأعرج

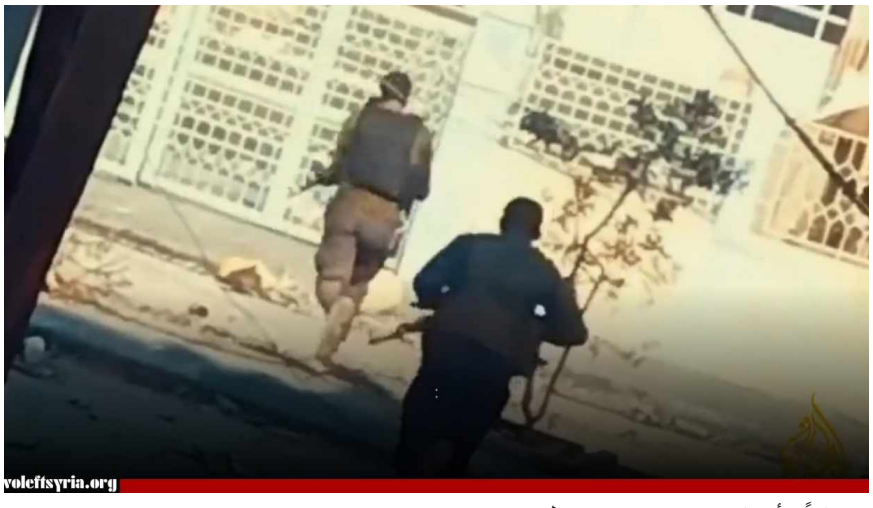

سؤالاً وأجاب عنه في تسجيل صوتي له منشور على المنصات. وقد أخذ الأعرج هذا السؤال من رواية الرعب والجرأة للكاتب ألكسندر بيك، حيث يعتبر الأخير أن الهدف من الحرب ليس الموت إنما الحياة، وقد استعمل الأعرج عبارة "أن تعيش". وأكمل قائلاً إننا نقاتل ونقتل عدواً أقوى منا حتى لا يقتلنا، أو حتى لا يقتلنا بسهولة أو بفرح. الأعرج في حديثه يدرك أن العدو قادر على إبادتنا بفعل "اختلال" موازين القوى، لكن وبسبب هذا الاختلال وعلى الرغم منه، يكمل الأعرج، ينطرح السؤال الوجودي "ليش أنا عايش؟... ما معنى هذه الحياة من دون كرامة، ودون أن يكون لي القدرة على رفع الرأس وفق مفاهيم الشرف والعزة والكرامة، ولكن لتفكيك ذلك سيكون صعباً لأنها مرتبطة بالروح، أكثر من العوامل المادية".

هنا يلتقي الأعرج، مع شهيد آخر هو عماد مغنية، حين قال: "إن من يقاتل فينا هو الروح، وليس القدرة البدنية وبالتالي يصبح الجسم عاملاً مسخّراً والإمكانات تصبح مسخّرة".

إذاً، بحسب الأعرج ومغنية الروحية الموجودة فينا، كمستضعفين ومستغلين ومضطهدين، هي التي تؤمن القدرة والجهوزية والقابلية على مقاومة أعتى الجيوش، التي هي الأذرع المادية للرأسمالية والنيوليبرالية.

الروحية أو لحظة ٧ تشرين

"... اه حدد لنا موعداً للقاء، وحدد فضاءً لأرواحنا الغاضبة، وانتظرنا نَعُد من بنادقنا و انتصاراتنا الموجعات، ومن جمرة في رماد مقابرنا الشاحبة، إن أسعد يخرج من موته، ويتابع في خندق يتقدم نحو النهاية، ممتشقاً عشقه للصنوبر والشمس، أسعد ماء على السهل، رعد على القمة الصاخبة" (حسن العبد الله- من قصيدة أجمل الأمهات)

تعرفت إلى الجنوب من خلال القراءة والراديو، بسبب زياراتي القليلة إلى تلك المنطقة. مؤخراً، قرأت أغلب روايات حسن داوود، تخيلت الجنوب وتعلقت به من خلال روايات مثل: مئة وثمانون غروباً- لعب حي البياض- روض الحياة المحزون- لا طريق إلى الجنة. وبها انتقلت كل حواسي، من جديد، عبر هذه الروايات إلى زواريب الجنوب وأعماقه، بالقرب من سواقي المياه وشتلات الزرع وتحت أشعة الشمس وزخات المطر.

أي إنني انتقلت، وأنا جالس أو نائم، أتصفح هذه الكتب، وأنا في ضفة من ضفاف بيروت، إلى منطقة شغلت خيالي. فأعادت لي في الوقت عينه، وعن قرب، الجنوب الذي سكنني خلال التسعينيات، وهنا الكلام هو عن التعرف السمعي إلى الجنوب، عندما كنت أستمع إلى بيانات إذاعة النور، وهي تبث الشكل القاعدي للروحية التي تحدثت عنها منذ قليل. لم أكن أكترث بالمشاهد التي بثتها القنوات التلفزيونية، إنما خلقت من الجنوب صورة في رأسي، نابعة من أسماء المواقع والقرى، لأوديته وسهوله.

صباح الـ 7 من تشرين كان يوماً عادياً واعتيادياً جداً. أزمة منتصف العمر، السؤال المكرر عن جدوى الحياة، والعمل، البقاء، الاستمرار، والاعتياد، القهوة المرة، ومراقبة الروزنامة لإعادة عيش ذات الروتين الوارد في الجملة السابقة، إلى درجة أنه يمكنني وقتها، وحتى اليوم، إعادة تكراره وتكراره حتى يكوّن صورة ذاتية عني تنبع من سؤال سأله باسل الأعرج: "ليش أنا عايش؟، شو معنى الحياة من دون كرامة، والقدرة على رفع الرأس...".

هنا، ولأن الكهرباء مقطوعة، وربما بفضل ذلك، قررت الاستماع إلى إذاعة النور، وهي الإذاعات القليلة التي أستطيع التقاطها حيث كنت. وحين أدرت الإذاعة كانت أصوات المذيعين مختلفة عن المرات السابقة الاعتيادية، أي بعيداً عن التجهم الصوتي الصباحي الذي يمتاز به قارئو وقارئات الأخبار.

وإذا كنت قد تعرفت إلى الجنوب في التسعينيات عبر هذه الإذاعة، كان ذلك الصباح المجيد، تعرفي الجديد على الجنوب الآخر معلناً، مع اتصال مكتب التحرير بالمذيعين، بشائر الخطوات الأولى لتحرير الجنوب.

هنا، عمل المقاومون بالضبط تماماً كعبارة الشهيد باسل السابقة الذكر: "إننا نقاتل ونقتل عدواً أقوى منا حتى لا يقتلنا، أو حتى لا يقتلنا بسهولة أو بفرح"، باسل في التسجيل نفسه، يدرك تمام الإدراك قوة وقدرة العدو على الإبادة، وبسبب ذلك، ورغما عنه، قرر سلوك الطريق حتى آخره، كذلك فعل مقاومو الجنوبَين.

بعد أيام قليلة، رأيت عينيك يا علي. "لذلك أتحدث عنك وقلبي يطل من فمي، يا ابن موطني." (عباس بيضون- قصيدة يا علي)

"الثورة في الشرق كشرط لإمكانية الثورة في الغرب" (سلطان غالييف)

أكاد أجزم، ويمكنني المراهنة على ذلك، أن العديد من القراء والقارئات قد شهقوا، حتى الآن، شهقات كبيرة وكثيرة أين منها شهقة سعيد صالح في مسرحية العيال كبرت، لا بأس، انتظروا المزيد، حتى تشهقوا أكثر. لا عذر على الإزعاج، أعمل على ذلك.

لنرجع إلى تعاليم المعلمين كارل ماركس وفريدريك إنغلز، ففي رسالة أرسلها الأخير إلى الأول، عام 1858، نعم 1858، كتب فيها: "إن البروليتاريا الإنكليزية تصبح في الواقع برجوازية أكثر فأكثر، بحيث يبدو أن الهدف النهائي لهذه الأمم الأكثر برجوازية هو امتلاك، إلى جانب البرجوازية، أرستقراطية برجوازية وبروليتاريا برجوازية". (1)

بعد 24 عاماً، أي سنة 1882، أرسل إنغلز رسالة لكارل كاوتسكي بدأها على الشكل التالي: "تسألني عن رأي العمال الإنكليز في السياسة الكولونيالية. حسناً، بالضبط وفق تفكيرهم بالسياسة بشكل عام: نفس تفكير البرجوازيين. لا يوجد لدينا حزب عمالي، إنما فقط حزب المحافظين والليبراليون الراديكاليون، ويشارك العمال بغبطة احتفالية احتكار إنكلترا للسوق العالمية والكولونيالات". (2)

انطلاقاً من هاتين العبارات، إن مطلقي عبارة "أيها البروليتاريون، في جميع البلدان، اتحدوا"، وهي وردت في خاتمة كتيب البيان الشيوعي عام 1848، أي في وقت سابق على الرسالتين السابقتين، يعترفان بأنها عبارة تجريدية جداً، بالحد الأدنى.

فمضمون هاتين الرسالتين نراه جلياً، في حالة الحرب الحالية، ولكن كذلك في التجارب السابقة الكثيرة والمتكررة. وإذا كانت بريطانيا قد شهدت تأسيس حزب للعمال، لكنه كان في صلب المشروع الامبريالي الغربي في الحروب المتعددة على المنطقة، وكذلك داخل بلده، بتطبيق السياسات النيوليبرالية، هذا هو حال بقية الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية في أوروبا الغربية. وحتى تحالفي سيريزا وبوديموس، الذي استبشر بهما العديد من المفكرين، آخرهم جلبير الأشقر، (3) خيراً، لكن التحالفين كان لهما صولات وجولات في تنفيذ سياسات معادية للمهاجرين بواسطة فرونتكس (4) وتنفيذ سياسات معادية "للإرهاب" بالتنسيق مع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، (5) في وقت لم تكن دماء مجزرة رابعة قد جفت بعد. وصولاً إلى الولايات المتحدة، حيث خيرنا "التقدميون" هناك، بين من هو أقل شراً: أي جو بايدن، ليتبين أنه كسلفه، مجرد حلقة من سلسلة مكونة من الديمقراطيين والجمهوريين المجرمين.

ولكن لماذا الثورة في الشرق هي شرط لإمكانية الثورة في الغرب، الذي عنونت به هذه الفقرة؟ في الواقع، هذا السؤال كان موضع نقاشات كبيرة خلال الثورة الروسية، سواء من مؤيديها ومن جانب معارضيها وأعدائها.

في كتاب قيّم كتبه مايكل لوي (6) عام 1981، أظهر فيه كيف أن الثورة الروسية نُظر إليها على أنها تحريف من قبل "ماركسيي" الاشتراكية الديمقراطية الغربية، إذ اعتبر بطاركة هذا التيار، أن طبقة العمال الصناعيين قليلة العدد في روسيا، وأن شروط قيام ثورة عمالية، غير متوفرة في بلد "متخلف" كروسيا، في حين دافع لينين وتروتسكي عن الموقف المعاكس، مستلهمين من كارل ماركس عبارته الشهيرة "هنا الوردة، فلنرقص هنا" (7).

حتى أن موقف لينين وتروتسكي لم يكن جامداً دوغمائياً إنما استند إلى "تحليل ملموس للواقع الملموس"، وهو تدرج في الانفكاك من موقف الاشتراكية الديمقراطية الانتظاري، علماً بأن ثقل الطبقة العاملة الصناعية في أوروبا الغربية كان أكبر بكثير وكانت تلك الأحزاب ضخمة في أعداد محازبيها ومؤيديها، ولكن يبدو أن مقولة إنغلز الواردة أعلاه التي انطبقت على العمال الإنكليز، قد انطبقت تماماً على مفكريهم- من المفيد التذكير أن روزا لوكسمبورغ وكلارا زيتكين قد فكرتا بالانتحار بسبب سوء موقف الاشتراكيين خلال الحرب العالمية الأولى، ونيل هذا الموقف إجماع شبه تام وقتها (8)- ولكن هذه الضخامة والأورومركزية لم تتمكن، وتشأ حتى، من ترجمة هذه القدرة إلى ثورة عمالية تسقط الرأسمالية في عقر دارها، نتيجة خيانة هذه القيادات لتطلعات جماهيرها.

في روسيا حصل العكس، وتجرأت القيادة على ذلك، وخيضت ثورة اخترقت السماء، ولكن في الوقت عينه واجهتها مسألة حق تقرير مصير الجمهوريات التي كانت تحتلها الإمبراطورية الروسية في ظل الحكم القيصري. وفي حين،

وكان مؤتمر باكو عام 1920 تتويجاً له، لكن واجهت القيادة نقاشات جادة، في وقت كانت ما زالت النقاشات ممكنة وسط الكومنترن والأجهزة ذات الصلة، خاصة مع شيوعيي هذه المناطق، خاصة من جانب الرفيقين م.ن. روي وسلطان غالييف وسواهما، (9) اللذين اعتبرا أن الثورة في الشرق هي شرط الثورة في الغرب ودخلوا في تسوية مع المركز السوفياتي بحيث بات الشعار "يا عمال العالم ومضطهديه اتحدوا"، بعد إضافة كلمة مضطهدين (أي ليس فقط العمال) على الشعار الرمز وأقلمته مع واقع تلك الجمهوريات التي نعتت بـ"المتخلفة"، بسبب ضعف القطاع الصناعي فيها، وبالتالي ضعف الطبقة العاملة القادرة على إنجاز الثورة الاشتراكية، بحسب الدوغما الاشتراكية الديمقراطية.

لينين في سنواته الأخيرة، شدد على عدم إسقاط أشكال التنظيم الشيوعي من دون تبادل للخبرات والمعارف الثورية من مختلف الدول وضرورة ترجمة هذه التجارب إلى نظرية واستراتيجيا.

استعرضت الفقرة السابقة تغير وتبدل، وحتى تحريف، النظرية وفق الواقع الملموس والمتغير وفق الظروف التي تحكم هذه التبدل والتغير. ولكن القارئ/ة ههنا سيطرح سؤالاً، بعد أن شهق شهقات كثيرة، ما علاقة كل ذلك بجنوبَينا؟ انتظر حتى ترى التحريف والتجديف.

التحريف

أظن أن بعضاً ممن قرؤوا هذا الكلام، ووصلوا إلى هنا، قد قالوا في أنفسهم، هل تقارن الثورة الروسية بغزة وجنوب لبنان؟ بمعنى آخر أن الثورة الروسية هي النموذج الذي ينبغي أن يقارن به أي فعل آخر يحصل في أي زاوية في الكوكب. حسناً، الإجابة ستكون سريعة، لا ليست النموذج، إنما هي معلم استدلال.

لا شك بأن وقت نشوب الثورة الروسية، خاصة في شقها الثاني، أي سيطرة البلاشفة على الحكم، قد لقيت نقداً من اشتراكيين في أوروبا الغربية، سواء كانوا جالسين في مقهى عند ضفاف نهر شنيل في غرناطة أو عند ضفاف نهر السين في باريس أو نهر التايمز في لندن. واليوم تلقى المقاومة في غزة وجنوب لبنان نفس النقد من خلفاء من سبق ذكرهم، وحتى أن "الدعم" الذي تلقاه المقاومة يمتزج بشروط مفروضة من قبل هؤلاء اليساريين. فنجد مثلاً مقولات تعتبر أن الدعم هو للمقاومة ليس دعماً للحركات الإسلامية "الأصولية"، كأن الأغلبية الساحقة من المقاومين ليست من هذه الحركات. وبالتالي، عندما يطرح الدعم النقدي مسألة قيام حلف بين القوى التقدمية واليسارية بهدف معارضة الامبرياليات والاحتلال، (10) وذلك خلال العدوان، كأنه يقول، أن عدم قيام مثل هذا الحلف يعني أن الدعم سيكون زائفاً، لأنه مشروط بقيامه.

ولكن السؤال المطروح ههنا، هل من قوى تقدمية ويسارية في المنطقة؟ لا تهدف هذه الورقة إلى إحصاء أسماء هذه الأحزاب وقياس مدى ثقلها، فضلا عن بحث أسباب تراجعها، ولكن كان بمقدور هذه القوى الموجودة ولكن المتناثرة متسعاً من الوقت لبناء نفسها من جديد، في أوقات سابقة على العدوان الحالي، بشكل سري أو علني وفقاً لمعطيات كل بلد متواجدة فيه، ولكن ذلك لم يحصل، وطَرح تشكّل مثل هذا الحلف، الذي لن يحصل في هذه العجالة، لأن بناء المنظمات، المكونة لهذا الحلف، لم يحصل أصلاً هو بالضبط طرح استحالة وذلك لتجنب أخذ موقف داعم للقوى الإسلامية.

أكثر من ذلك، يسترجع كاتب، (11) في مقال تعفيشي له، (12) استراتيجية ألكسندر بارفوس، للتعاطي مع الحلفاء خلال التحالفات الظرفية مع قوى مختلفة أيديولوجياً مع "اليسار" مثل: "1) عدم خلط المنظمات، السير على حدة والضرب معًا؛ 2) عدم التخلّي عن مطالبنا السياسية الخاصة بنا؛ 3) عدم إخفاء اختلاف المصالح؛ 4) مراقبة الحليف كما يُراقَب العدو؛ 5) الاهتمام بالاستفادة من الوضع الناتج من النضال أكثر من الاهتمام بالحفاظ على الحليف". (13) من دون شك إن القفز أكثر من 100 سنة بالتاريخ، وبمفعول رجعي، هو تحليل ملموس للواقع الملموس، واستعمال ضمير المتكلم يدل على تمثيل شعبي واسع النطاق للكاتب حتى يفرض على القوى الإسلامية هذه التكتيكات كشرط لقيام حلف مؤقت معها، ودون هذه الشروط، يستحيل قيام مثل هذا الحلف، أو أن يكون هذا الطرف اليساري أو ذاك متذيلاً للإسلام السياسي.

لكن بارفوس، المستشهد به كنموذج للثورية وينبغي وفق وَصفته عقد التحالفات، ناقض نفسه، ووَصفته حتى، يوم اعتبر أنه "على الحكومة العمالية عدم اتخاذ أي إجراءات اشتراكية، إنما فقط إدخال تشريعات اجتماعية تقدمية وإصلاحات لصالح الطبقة العاملة وضمن حدود النمط الرأسمالي للإنتاج"، (14) بالتالي، ما الذي تبقى للاشتراكيين والطبقة العاملة فعله في هذه الحالة، عندما يشنون ثورة تؤدي في نهاية الأمر إلى إدامة هيمنة الرأسمالية؟.

طبعاً، لو استمع البلاشفة، إلى نصائح رواد مقاهي أوروبا الغربية، وبارفوس، لاستمروا حتى يومنا هذا يوزعون مناشيرهم بانتظار اقتناع كل الطبقة العاملة الصناعية، حتى تصبح جاهزة وواعية ومدركة لنفسها ومادية بالكامل، حتى تستطيع شن الثورة النقية.

ولكن من يريد تحقيق الثورة النقية، يمكنه فعل ذلك، ولا أعرف حقاً من الذي يمنعه من فعل ذلك، فليبدأ

بالتنظم ودعوة الناس إلى الالتحاق بصفوفه وليطبق الوصفات التجريدية السابقة الذكر. بانتظار أن يحقق منظّرونا الأشاوس ذلك، وهو أمر أجزم أنه لن يحصل، سأعود إلى جنوبَينا، لتفحص عن كثب من الذي يقاوم.

الله أكبر كزفرة المضطهدين بوجه الامبريالية والاحتلال

لأعوام طويلة، وخاصة بين عامي 2003-2009 استمعت مراراً وتكراراً لأغنية Persian Astronomy من أعمال الفنان THE ORIENTAL-IST، لم يكن استماعي لها من باب الإعجاب الشديد، إنما فقط لاحتوائها عند الدقيقة 2:56 على زفرة مختصرة، كانت هي كل ما يعنيني من الأغنية كلها، وحتى الألبوم. زفرة تمتد لأقل من ثانية، كنت أشعر بها حين كنت أنتقل من محطة باص إلى أخرى، حيث أجتاز طريقاً تمتد لحوالي مئتي متر، تتدرج صعوبتها كلما مشيت صعوداً. وعندما أصل عند نقطة معينة، وسط روائح المازوت والدخان والثقل الذي يطبق على صدري أزفر زفرة شبيهة بزفرة تلك الأغنية.

لم أجد تفسيراً للارتياح الذي كنت أشعر به إثرها، إثر ذلك التنفس، ولكنني فهمته حين وجدت مرتكزاً فكرياً في عبارة كارل ماركس الشهيرة، والتي غالباً ما أسيء فهمها وتفسيرها: "المعاناة الدينية هي في آن، تعبير عن معاناة واقعية من جهة، واحتجاج على المعاناة الواقعية من جهة أخرى. الدين هو زفرة المخلوق المضطهد، قلب عالم دون قلب، وهو روح ظروف دون روح. إنه أفيون الشعوب". (15) تلك الزفرة هي نفسها التي سمعتها يوم وقف أحد مقاومي القسام في إحدى الفيديوهات، مستنداً إلى حائط، مطلقاً زفرة هائلة، سرعان ما استدار نصف استدارة مطلقاً قذيفة مضادة للدروع، فانفجرت الدبابة واحترقت بمن فيها، مطلقاً الصرخة/ الطلقة: الله أكبر.

مقاومنا هذا، لم يكن يرتدي سوى قميص صيفي وبنطال أديداس، وحذاء، كل ملابسه سوداء، وسلاحه. هذه الملابس الهشة واجهت لوحدها دبابة يفوق سعرها 6 مليون دولار أميركي- أي فارق طبقي هذا؟!- لم يكن يملك سوى قذيفة واحدة، تبلغ كلفتها بضعة مئات من الدولارات يواجه بها كل هذا الجبروت الفولاذي المصفح.

هو لم يواجه جبروت واحد بمفرده، أي الدبابة بذاتها، إنما واجه الرأسمالية بوجهها الصريح والمكشوف، عام 2024، بعد صدور كل المواثيق الإنسانية الكاذبة. واجه كل الدول الرأسمالية المجتمعة لقتل غزة وإزالتها من الوجود بطلقة واحدة. هنا، وبحسب عامر محسن "قتل الأطفال الفلسطينيين «هو بالضبط ما يتوجّب على الحكومة الأميركية واحتكاراتها فعله من أجل إبقاء العالم كما هو»". (16) وهذه الطلقة المقاومة وسواها الآلاف، سواء في جنوب لبنان أو في قطاع غزة، هي بالضبط من أجل ألا يبقى العالم كما هو.

كذلك، في 19 تشرين الثاني/نوفمبر عام 2023، تقدم 3 مقاومين نحو مبنى مستشفى الرنتيسي التخصصي الذي تحصن جنود الاحتلال فيه، وبقي مقاومان في الجهة المقابلة يصوران اقتحام رفاقهما للمبنى، ويكبران، ومن كثرة تكبير أحدهما بكى، بعدها انفجر المدخل وانتهى المشهد هنا. المقاومون ساروا في مسار عكسي من قصيدة طلال حيدر، "خيال"، وباتت نهايتها كالتالي "فتح عتمة خيالو وفات، في ناس قالوا قتل، في ناس قالوا مات".

خلال بحثي عن موقع المستشفى وجدت أنها تقع بين شارعي كمال عدوان وكمال ناصر، وعلى مقربة منهما شارع آخر باسم محمد يوسف النجار، الذين سقطوا شهداء في عملية لجهاز الموساد في بيروت يوم 10 نيسان/ أبريل عام 1973. واللافت أن موقع الخرائط في غوغل قد نبهني بأن "المعلومات حول هذا المكان قد تكون قديمة، انتبه دائماً إلى ظروف العالم الحقيقي، التي قد تتغير بسرعة". فسألت نفسي ما هو القديم في الخريطة؟ المستشفى؟ الشوارع؟ أسماء الشوارع؟ الأبنية؟ الأشجار؟ الشهداء الذين سقطوا منذ 50 عاماً؟ أم مقاومو عام 2023؟

ولكن الإجابة ليست بهذه البساطة، وهي ليست ممكنة من دون إجراء مقارنة بين صيحة الله أكبر التي هتف بها مقاومون في شوارع خالية وسط الدخان والسماء الملبدة بالحرائق والموت، وصيحة الله أكبر التي هتف بها إمام المسجد النبوي الشيخ صلاح بن محمد البدير وأتبعها بقوله المشهور "اللهم احفظ بلاد المسلمين من النزاعات والصراعات والحروب والثورات"، (17) فأي عبارة هي الصادقة؟ أترك الإجابة لأمل دنقل: "فلتكن الريح في الأرض؛ تكنس هذا العفن"، (18) والخريطة ليست قديمة، ولن تكون، لأنه "من هنا تبدأ الخارطة والكلمات". (19)

بنطلون الأديداس والمكان والزمان الصح

يظهر في الكثير من مقاطع الفيديو التي نشرتها كتائب القسام، مقاتلون يرتدون ثياباً رياضية، وأخرى أنيقة، من بينهم الشهيد المقاتل الأنيق، حمزة هشام عامر، ابن أحد مؤسسي هذه الكتائب الشهيد هو الآخر، وهي ثياب يطلق عليها صفة "الحداثية" أو التغريب الذي يُفترض أنه "يحقق تجانساً ثقافياً" (20) أي بمعنى آخر، وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، توقع الكثيرون أن الهيمنة الإمبريالية الغربية، وبواسطة كل أدواتها الرأسمالية والتسليعية، قد انتصرت، وأن هذا التجانس سيصنع هناءة لزيادة هذه الربحية المتضاعفة المتولدة من أشكال مختلفة من الاضطهاد والاستغلال وسرقة الموارد وتدمير الكوكب حرفياً.

والرأسمالية، وإذ تولد تناقضاتها خلال عملها وأزماتها كذلك، لم تكن سنواتها الـ 34 الماضية هانئة، فقد شهدت كل زوايا هذا الكوكب، خاصة في عالم الجنوب، مواجهات حادة معها، وغزة تندرج في طليعة هذه المواجهات.

المقاتل عندما يرتدي ثياباً "حداثية" ويواجه الاحتلال، هو النقض لكل هذه "الحداثة"- التي علينا تشربها، وتقبل حالنا، وعيش حياتنا في ظلها، وبالتالي أن ندعها وشأنها، كما قال الشهيد باسل الأعرج. ومقاتلنا هذا، هو النقيض لكل ذلك لأنه يواجه رأس حربة الرأسمالية في عالمنا، أي الاحتلال الصهيوني، هو الديالكتيك الأرضي والسماوي. هو لا يأتي من زمن أو مكان آخر، كما كتب جاك شينكر، (21) حين تحدث عن

الثورة المصرية، إنما هو ابن هذا الزمن وابن هذا المكان، يقف ويواجه بصدره، دون أي خوذة أو درع وقاية، دبابة غالية الثمن ومجهزة بأعقد التقنيات وتحت سماء تعج بطائرات الحداثة التجسسية.

بالتالي، إن وصم أبناء العشوائيات في القاهرة بأنهم جاؤوا من زمن متوشلخ، الذين أسقطوا بشجاعتهم نظام مبارك العميل، هو لصق، ولو عن غير قصد، لفكرة أن أبناء هذا الشرق، عندما يتحركون إنما يفعلون ذلك باتجاه الماضي، أي نحو "الرجعية والأصولية"، لكن ذلك ليس صحيحاً، لأن العامة لطالما تحركوا بوجه السادة، بحسب رفيقينا كارل ماركس وآلان أكاردو، ولكن إذا كانت القوى التقدمية غير جاهزة أو غير موجودة أو عاجزة عن أن تكون، هل على هذا المقاتل تسليم نفسه للاحتلال؟ هل على ابن العشوائيات تسليم نفسه لأجهزة المخابرات حتى يتحقق ما لم (ولن) يتحقق؟

أكثر من ذلك، فلنتذكر ثورة 1905، التي كانت بروفا لثورة عام 1917، التي بدأت بمسيرة سلمية يترأسها كاهن عميل للنظام القيصري الروسي، ردد فيها المتظاهرون هتافات تبجيلية بالقيصر، حاملين معهم عريضة ترجو من النظام تأمين مطالبهم، فكيف رد القيصر؟ ارتكب جيشه مجزرة. وكيف رد المتظاهرون؟ هل سلموا أنفسهم لأجهزة النظام؟ هل أغرقوا أنفسهم بالتجانس والهيمنة المفروضتين، حيث كانت الرأسمالية في بداياتها في روسيا؟ كلا، إنما هتفوا: أعطونا سلاحاً!

هذا هو شرقنا!

في هذا السياق، لا بد أن نتذكر قصة الرفيق خليل، الغزاوي، البروليتاري، الذي عمل في مستوطنات الاحتلال، وكان يسجل خلال عمله هناك كافة المعلومات والتفاصيل الميدانية- ليس ليكتبها بحثاً أكاديمياً يكون مرتكزاً لمراكز الأبحاث الغربية وأجهزة الاستخبارات- إنما ليكون دليلاً لمقاتلي القسام يوم 7 تشرين/أكتوبر.

خليل، لم ينتظر تشكّل أي قوى تقدمية أو تحرك ما يسمى بـ"الطبقة العاملة الإسرائيلية" حتى تمارس تحررها من طبقتها الحاكمة، إنما عرف أن الخط المستقيم ينطلق من بروليتاريته ويصل إلى تحرره الوطني (ولا يتوقف هناك).

خليل هو ثورتنا الدائمة، وهو الراية!

أبناء غزة وعشوائيات القاهرة هم أكثر تقدمية من اليسار الغربي ونقابييه، لأن الأخيرين يعودون إلى بيوتهم في نهاية اليوم، في حين تستمر الرأسمالية، وتتراكم الأرباح، والتسلح حتى الأسنان كذلك. لكن مقاتلينا لا يعودون إلى بيوتهم، وإن عادوا، فلا عائلات لهم ولا بيوت، وفوق كل ذلك، يقاومون، خلال نوم الآخرين، أو خلال تظاهرات السبوت والآحاد.

من هنا، لا بد لغزة أن تنتصر.

تأملات في الحالة التضامنية في لبنان مع جنوبينا

ليس سهلاً الانتقال من الحديث عن خليل ورفاقه إلى الحديث عن ما يسمى الحالة التضامنية في لبنان. فعندما أنهيت الفقرة السابقة، اعتقدت أنها هذه هي الذروة ولا حاجة من بعدها إلى أي إضافة، وأعتقد أن هذا هو ظنّ القراء والقارئات.

أضف إلى ذلك أن كلمة تضامن هي كلمة منفرة، يمكن أن يقوم بها اليسار الغربي كل سبت وأحد ليريح ضميره، خلال استمرار المجزرة. وهي كلمة ليست في محلها، لأننا على تماس جغرافي وعقائدي وإيماني مع فلسطين، ويسقط يومياً على أراضينا خيرة شبابنا وأهلنا.

لقد مرت هذه الأشهر، وعلّينا وعبد الكريم البرناوي، وسواهما، قد عرفوا الطريق والدليل، دون الكثير من الحسابات ودون أي "لكن". وهي أشهر كانت كافية للتدرب والإعداد العسكريين، ولكن ما العمل مع من هتف لجمّول طوال سنوات، وإذ به اليوم يتضامن مع هاتف ديما صادق؟ ما الذي بقي من يسار؟ وما الذي يمكن انتظاره منه؟

الجواب الوحيد: "أي تفو بيسار كهذا أينكر حتى دمه؟". (22)

لكن، دعكم الآن من التدريب العسكري، فالحاجة إلى الترحال ونيل الفيز ومراكمة الامتيازات أهم من التحرير والمساندة. فلنراجع ما الذي فعله هذا اليسار. فما عدا اعتصامات متفرقة هنا وهناك أمام السفارات والمنظمات الدولية، ما لبث أن تلاشى عدد المشاركين فيها، تخللها توزيع بيان واحد فقط، وضعه الرفاق في الاتحاد الطلابي العام، مذكراً فيه بأن المعركة تحصل الآن وهنا، وأننا معنيون بها. لم يجد يسار شارع الحمرا سوى الوقوف 35 ثانية بطلب من نضال الأشقر في مسرح المدينة يوم السادس من آذار/مارس، وذلك في مستهل ندوة فواز طرابلسي، (23) علماً أن الأشقر كانت قد طلبت من مناضلي المقاهي الوقوف دقيقة واحدة فقط، كمجهود لمساندة جنوب لبنان وغزة.

واليسار، وهي كلمة فضفاضة جداً على هذا الجمع من الناشطين، ترك الرفيق خضر أنور، ورفاقه ورفيقاته، يتعرضون للسحل والضرب أمام هذه السفارة وتلك المنظمة، ويتعرض للاعتقال مراراً وتكراراً، ولأيام طويلة في معتقلات النظام اللبناني. وما هي التهمة؟ نزع علم فرنسا واستبداله بعلم فلسطين، أو المطالبة بالأموال المنهوبة من فحوصات الـ pcr التي أجريت للمسافرين عبر مطار بيروت، والبالغ مجموعها ما يقدر بـ 52 مليون دولار أميركي كان يفترض أن تخصص لدعم الجامعة اللبنانية. ما الذي كان يمنع حشود مسرح المدينة من الوقوف 35 دقيقة أمام قصر "العدل" أو أمام مراكز الاعتقال للمطالبة بحرية الرفيق؟. لكن يومها كان الرفيق أنور حراً، وكان الحشد أسير الصمت والفراغ.

كما شهدنا في الأشهر هذه إعادة إنتاج اسم "حملة صامدون"، (24) التي كانت حملة سياسية قاعدية تعنى بالتصدي للعدوان الصهيوني على لبنان عام 2006 من النواحي السياسية والإغاثية والإنسانية، دون فصل أو تجزئة بينها، والتي ضمت رفاقاً ورفيقات من مشارب سياسية مختلفة، إذاً، أعيد انتاجها لتتحول إلى مجرد اسم يجمع التبرعات وينظم الحفلات، دون أن يظهر إلى العلن أي عمل قاعدي، أو أي بيان سياسي ضد الاحتلال، أو أي معلم من معالم عمل الحملة الأصلية في أيام التصدي التموزية. ولأن الاسم براق، و"ناجح"

إنما هو ابن هذا الزمن وابن هذا المكان، يقف ويواجه بصدره، دون أي خوذة أو درع وقاية، دبابة غالية الثمن ومجهزة بأعقد التقنيات وتحت سماء تعج بطائرات الحداثة التجسسية.

بالتالي، إن وصم أبناء العشوائيات في القاهرة بأنهم جاؤوا من زمن متوشلخ، الذين أسقطوا بشجاعتهم نظام مبارك العميل، هو لصق، ولو عن غير قصد، لفكرة أن أبناء هذا الشرق، عندما يتحركون إنما يفعلون ذلك باتجاه الماضي، أي نحو "الرجعية والأصولية"، لكن ذلك ليس صحيحاً، لأن العامة لطالما تحركوا بوجه السادة، بحسب رفيقينا كارل ماركس وآلان أكاردو، ولكن إذا كانت القوى التقدمية غير جاهزة أو غير موجودة أو عاجزة عن أن تكون، هل على هذا المقاتل تسليم نفسه للاحتلال؟ هل على ابن العشوائيات تسليم نفسه لأجهزة المخابرات حتى يتحقق ما لم (ولن) يتحقق؟

أكثر من ذلك، فلنتذكر ثورة 1905، التي كانت بروفا لثورة عام 1917، التي بدأت بمسيرة سلمية يترأسها كاهن عميل للنظام القيصري الروسي، ردد فيها المتظاهرون هتافات تبجيلية بالقيصر، حاملين معهم عريضة ترجو من النظام تأمين مطالبهم، فكيف رد القيصر؟ ارتكب جيشه مجزرة. وكيف رد المتظاهرون؟ هل سلموا أنفسهم لأجهزة النظام؟ هل أغرقوا أنفسهم بالتجانس والهيمنة المفروضتين، حيث كانت الرأسمالية في بداياتها في روسيا؟ كلا، إنما هتفوا: أعطونا سلاحاً!

هذا هو شرقنا!
في هذا السياق، لا بد أن نتذكر قصة الرفيق خليل، الغزاوي، البروليتاري، الذي عمل في مستوطنات الاحتلال، وكان يسجل خلال عمله هناك كافة المعلومات والتفاصيل الميدانية- ليس ليكتبها بحثاً أكاديمياً يكون مرتكزاً لمراكز الأبحاث الغربية وأجهزة الاستخبارات- إنما ليكون دليلاً لمقاتلي القسام يوم 7 تشرين/أكتوبر.

خليل، لم ينتظر تشكّل أي قوى تقدمية أو تحرك ما يسمى بـ"الطبقة العاملة الإسرائيلية" حتى تمارس تحررها من طبقتها الحاكمة، إنما عرف أن الخط المستقيم ينطلق من بروليتاريته ويصل إلى تحرره الوطني (ولا يتوقف هناك).

خليل هو ثورتنا الدائمة، وهو الراية!

أبناء غزة وعشوائيات القاهرة هم أكثر تقدمية من اليسار الغربي ونقابييه، لأن الأخيرين يعودون إلى بيوتهم في نهاية اليوم، في حين تستمر الرأسمالية، وتتراكم الأرباح، والتسلح حتى الأسنان كذلك. لكن مقاتلينا لا يعودون إلى بيوتهم، وإن عادوا، فلا عائلات لهم ولا بيوت، وفوق كل ذلك، يقاومون، خلال نوم الآخرين، أو خلال تظاهرات السبوت والآحاد.

من هنا، لا بد لغزة أن تنتصر.

تأملات في الحالة التضامنية في لبنان مع جنوبينا
ليس سهلاً الانتقال من الحديث عن خليل ورفاقه إلى الحديث عن ما يسمى الحالة التضامنية في لبنان. فعندما أنهيت الفقرة السابقة، اعتقدت أنها هذه هي الذروة ولا حاجة من بعدها إلى أي إضافة، وأعتقد أن هذا هو ظنّ القراء والقارئات.

أضف إلى ذلك أن كلمة تضامن هي كلمة منفرة، يمكن أن يقوم بها اليسار الغربي كل سبت وأحد ليريح ضميره، خلال استمرار المجزرة. وهي كلمة ليست في محلها، لأننا على تماس جغرافي وعقائدي وإيماني مع فلسطين، ويسقط يومياً على أراضينا خيرة شبابنا وأهلنا.

لقد مرت هذه الأشهر، وعلّينا وعبد الكريم البرناوي، وسواهما، قد عرفوا الطريق والدليل، دون الكثير من الحسابات ودون أي "لكن". وهي أشهر كانت كافية للتدرب والإعداد العسكريين، ولكن ما العمل مع من هتف لجمّول طوال سنوات، وإذ به اليوم يتضامن مع هاتف ديما صادق؟ ما الذي بقي من يسار؟ وما الذي يمكن انتظاره منه؟

الجواب الوحيد: "أي تفو بيسار كهذا أينكر حتى دمه؟". (22)

لكن، دعكم الآن من التدريب العسكري، فالحاجة إلى الترحال ونيل الڤيز ومراكمة الامتيازات أهم من التحرير والمساندة. فلنراجع ما الذي فعله هذا اليسار. فما عدا اعتصامات متفرقة هنا وهناك أمام السفارات والمنظمات الدولية، ما لبث أن تلاشى عدد المشاركين فيها، تخللها توزيع بيان واحد فقط، وضعه الرفاق في الاتحاد الطلابي العام، مذكراً فيه بأن المعركة تحصل الآن وهنا، وأننا معنيون بها. لم يجد يسار شارع الحمرا سوى الوقوف 35 ثانية بطلب من نضال الأشقر في مسرح المدينة يوم السادس من آذار/مارس، وذلك في مستهل ندوة فواز طرابلسي، (23) علماً أن الأشقر كانت قد طلبت من مناضلي المقاهي الوقوف دقيقة واحدة فقط، كمجهود لمساندة جنوب لبنان وغزة.

واليسار، وهي كلمة فضفاضة جداً على هذا الجمع من الناشطين، ترك الرفيق خضر أنور، ورفاقه ورفيقاته، يتعرضون للسحل والضرب أمام هذه السفارة وتلك المنظمة، ويتعرض للاعتقال مراراً وتكراراً، ولأيام طويلة في معتقلات النظام اللبناني. وما هي التهمة؟ نزع علم فرنسا واستبداله بعلم فلسطين، أو المطالبة بالأموال المنهوبة من فحوصات الـ pcr التي أجريت للمسافرين عبر مطار بيروت، والبالغ مجموعها ما يقدر بـ 52 مليون دولار أميركي كان يفترض أن تخصص لدعم الجامعة اللبنانية. ما الذي كان يمنع حشود مسرح المدينة من الوقوف 35 دقيقة أمام قصر "العدل" أو أمام مراكز الاعتقال للمطالبة بحرية الرفيق؟. لكن يومها كان الرفيق أنور حراً، وكان الحشد أسير الصمت والفراغ.

كما شهدنا في الأشهر هذه إعادة إنتاج اسم "حملة صامدون"، (24) التي كانت حملة سياسية قاعدية تعنى بالتصدي للعدوان الصهيوني على لبنان عام 2006 من النواحي السياسية والإغاثية والإنسانية، دون فصل أو تجزئة بينها، والتي ضمت رفاقاً ورفيقات من مشارب سياسية مختلفة، إذاً، أعيد انتاجها لتتحول إلى مجرد اسم يجمع التبرعات وينظم الحفلات، دون أن يظهر إلى العلن أي عمل قاعدي، أو أي بيان سياسي ضد الاحتلال، أو أي معلم من معالم عمل الحملة الأصلية في أيام التصدي التموزية. ولأن الاسم براق، و"ناجح"

عليها مكانين يشبه ما باتت عليه، كحملة مسحوبة الدسم والسياسة- وفي ذلك سياسة أيضاً-، في الكرنتينا (25) والتباريس (26).

والتضامن مع هاتف الإعلامية كان أهم من التكاتف وإسناد الرفيقة نور سليمان، التي دفعت إلى الاستقالة، بسبب ممارسة حقها في التعبير عن تضامنها مع الشهداء الذين يسقطون بصواريخ الاحتلال الصهيوني في جنوب لبنان، إثر إنذار مليء بالأخطاء الإملائية من إدارة تحرير موقع يضم في مجلسه 3 صحافيين/ات مجموع خبرتهم "الصحافية" أكثر من عمر نور بثلاث مرات. هنا لم يكن الصمت والفراغ سيد الموقف، إنما كان انحيازاً كاملاً مع إدارة الموقع المصون، وقد بدا ذلك جلياً، من حركة التعليقات في صفحات المؤسسة على مواقع التواصل الاجتماعي، وما عبرت عنه الرفيقة سليمان في المقابلات التي أجريت معها، (27) ولكن كذلك في التصاريح المتواطئة مع إدارة المؤسسة، (28) حين قال أحدهم: "أنّ عدم إصدار المؤسّسة أي تعليق يعود إلى أنّها لم ترصد انتهاكًا"، في حين كانت الصراحة فجة من الثانية: "التجمّع لا يقوم بنشر بيانات عن كلّ قضيّة يتدخل فيها وليس هذا المطلوب منه".

آذار/مارس شهد استقطاب إضافي، كانت بطلته الراهبة مايا زيادة، وقد خرجت من وسط قضاء كسروان، في قرية غبالة- أي من "مارونستان أو فينيقيا" بحسبما يتشدق المتردكلون الكلاميون، وهنا سأستعيد خطبتها الصباحية، بحرفيتها، لكونها من أفضل ما حصل في لبنان إسناداً للجنوب وقطاع غزة والمقاومة وشعبنا الطيب: "بس حدا يقول ما بتعرفو وشو فهمكم، بيكون عم يكذب عليكم، ما بدو ياكم تفتحو عينكم على الحقيقة. يقول محمود درويش: "لم يعرفوني في الظلال التي/ تمتصُّ لوني في جواز السفرْ/وكان جرحي عندهم معرضاً/ لسائح يعشق جمع الصور (...) عارٍ من الاسم، من الانتماءْ؟/ في تربة ربَّيتها باليدينْ؟" شو يعني؟ يللي عم يصير بفلسطين المحتلة، بجنوب لبنان، صار معرض للغرب، بدل ما يساعدونا بيتفرجوا علينا. نحنا ما إلنا إلا حالنا تنخلص حالنا. بالجنوب، في تلاميذ بعمركم، بيقولو نحنا ما عنا أحلام، غير إنو نحمي أرضنا. هيدا بالجنوب، من هيك الراهبة] مايا ما فيها تسكت،] soeur وتقول "أيش بدك منهم لهالولاد"، إذا أنا كنت أصغر منكم وتعلمت، وكان في ناس عم تخبرني، اتفرج وروح فتش، أنتو بإيديكم في سمارت فون، وتابليت، يعني فيكم تفتشو، وفيكم تعرفو. اليوم، بدنا نصلي للجنوب، لأطفال الجنوب، لأهالي الجنوب، ولأمهات الجنوب، ولرجالهم، رجال المقاومة، وقولوا الراهبة] مايا قالت، لأنو] soeur هودي رجال من لبنان، هودي رجال عم يتعبو ليحموا هالوطن، وإذا ما صلينا لهم وما حبيناهم، بغض النظر عن شو منفكر، منكون خونة بحق أرضنا وبحق وطننا وبحق كل كتاب منفتحو ومنقرا فيه. منقول للعدرا تحمي شبابنا وولادنا ووطننا لأنو عم يمرق بمحنة كتير صعبة، وما في غير المحبة والتعاضد بيجمعنا وبيقوينا وبيمشينا لقدام".

وبسبب وضوح خطاب الرفيقة الراهبة مايا، وما تضمنه من مفاهيم تقدمية، كانت الحملة شرسة وترهيبية ضدها، ليس فقط من مؤيدي البطريركية المارونية ولكن كذلك من حشود الليبراليين. وتجربة الرفيقة مايا، لم تأتِ من فراغ، فعقد الستينيات من القرن الماضي شهد حراك العشرات من أمثال الرفيقة، في وسط الكنيسة المارونية تحديداً، من كهنة وراهبات، وداخل قضاء كسروان، سعوا إلى قيام كنيسة تقدمية وتحررية تقف إلى جانب المستضعفين في الأرض ومن بينهم (المقاومة. (29

وبذلك، تتلاقى الرفيقة الراهبة مايا مع صيحة الله أكبر وزفرة مقاتلينا في جنوبينا. وهي كذلك تصدت في جرأتها تلك لجبروت البطريركية، تماماً كما يقف "عراة" درويش في شوارع غزة أو في عيتا الشعب بوجه الاحتلال وبوجه زيف الغرب الذي أظهر لنا وجهه الحقيقي، بحسبما أكدت الرفيقة مايا في كلمتها. هي اختارت موقعها وتموضعها، في وقت وقفت الهرمية الدينية في بلدها ضمن نفس الخط الذي عبر عنه إمام المسجد النبوي السابق ذكره، الداعم للأنظمة العميلة والاحتلال والامبريالية، فوجودهما واستمرارهما ناتج من بقائها.

ما جرى مع الرفيقتين مايا ونور، في شهر آذار/مارس، كان تكثيفاً لرمزية اليوم العالمي للمرأة، الذي فرضته العاملات، وبات يوماً رسمياً بدءا من عام 1911 بمبادرة من الرفيقة كلارا زيتكن، (30) بوجه البرجوازية والبطريركية، نحو عالم محبّ ومتعاضد، إذا أردت استعادة كلمات الرفيقة مايا، أي نحو عالم اشتراكي خالٍ من الرأسمالية والاحتلال والامبريالية وطريقنا إلى ذلك عبر "المقاومة حتى الثورة". (31)

بمثابة خاتمة

يا علي! "جئت إليك من هناك"، (32) من وسط "رفاق" يسخرون من طريقة لفظي لبعض الكلمات الأجنبية، أو من طريقة تناولي الطعام. من وسط رفاق لا يوزعون بيانات منظمتهم، يرمونها في سلة المهملات، يريدون عمالاً يدويين لنقل الكتب، لا يوزعون مجلات منظمتهم، يكثرون الكلام والجعجعة، والنضال عندهم لحظة استراحة في محطات سيرهم كبرجوازيين صغار أو طبقة متوسطة ومراكمة الامتيازات، وآخر من بينهم صنفني بأنني ميسور الحال لأنني كنت أول من يدفع اشتراكه الحزبي الشهري. (33)

في لقائنا الأخير لم أودعك، لقد شاءت الظروف ألا يحصل ذلك. يتملكني الالتباس والغموض والارتباك حيالك، أخاف أن تموت، ولكنك اخترت طريقك في "هُناك"ـك. سأقنع نفسي أن هذا هو الديالكتيك الخاص بنا، أنا وأنت، سأبقى أتابع صفحة علي شعيب على تويتر، باحثاً عن صورتك، لن تكون مهزوماً، ستكون نجمة، نجمتي، وكأسي الملأى. وإن متُّ قبلك، سأكون مطمئناً لأنك ستكون "هناك" تحمي أرضنا، وتحرس نومي الأبدي.

نحن نعرف أن الكابوس صغير في عين النهار، لذلك نبقى، ريثما تحمل أشجارك الهائلة شموعنا الباقية، ريثما يختنق السيل، فنخرج من جثته برؤوس الأزهار الصغيرة". (34)

الاشتراكي الألماني ينتقد اقتراحا جديدا بشأن فلسطين

أقرت الحكومة الألمانية الأسبوع الماضي اقتراحا بشأن معاداة السامية تأمل أن يسكت منتقدي إسرائيل وحربها على الفلسطينيين.

حظيت المسودة النهائية للقرار، التي تحمل عنوان "لن يحدث ذلك الآن أبدا – حماية الحياة اليهودية في ألمانيا والحفاظ عليها وتعزيزها"، بدعم جميع الأحزاب الرئيسية.

أبرز النقاط الرئيسية التي يشملها القانون المقترح هي:

تعديل القوانين الجنائية وقوانين الإقامة والجنسية؛ بحيث تسمح بسحب الإقامة والجنسية ممّن تعتبرهم السلطات الألمانية "مناهضين لإسرائيل"، ويشمل ذلك المهاجرين من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وحتى النشطاء اليساريين المناهضين للإمبريالية.
حظر المؤسسات المناهضة لإسرائيل، إذ يمنح القانون صلاحيات أوسع لحظر أي مؤسسات تصنّف معادية لإسرائيل، بما في ذلك المنظمات التي تدعو إلى مقاطعة إسرائيل.
تشديد الرقابة على الفعاليات الثقافية والفنية، وهنا يدعو القانون السلطات المحلية إلى قطع التمويل عن الأنشطة الثقافية التي تُعتبر "معادية للسامية"، وذلك على خلفية الانتقادات المتزايدة لإسرائيل في مناسبات ثقافية، مثل مهرجان برلين السينمائي.
تطبيق العقوبات في المدارس والجامعات، إذ يمنح القانون إدارات المدارس والجامعات صلاحيات لاتخاذ إجراءات عقابية ضد من تصفهم المسودة بأنهم "معادون للسامية"، بما في ذلك الطرد من المؤسسات التعليمية.
ومن المرجح أن يؤدي ذلك إلى مزيد من المحاولات "لإلغاء" الفنانين والأكاديميين والناشطين. ستستخدم الدولة الاقتراح كذريعة لحجب الأموال عن صالات العرض والمعارض والجامعات والمساحات الاجتماعية التي تجرؤ على السماح للأصوات المؤيدة لفلسطين.

لم يكن للاقتراح علاقة تذكر بالكفاح الفعلي ضد معاداة السامية في ألمانيا. كان ينبغي أن يكون هذا واضحا عندما صوت حزب البديل من أجل ألمانيا الفاشي لصالحه. وسلط السياسي في حزب البديل من أجل ألمانيا يورغن براون الضوء على الهجرة الجماعية باعتبارها "المشكلة الرئيسية التي تعرض الحياة اليهودية في ألمانيا للخطر".

وشكرت بياتريكس فون ستورش، وهي أيضا من حزب البديل من أجل ألمانيا، حزب الخضر على تبني موقف حزب البديل من أجل ألمانيا بشأن "معاداة السامية الإسلامية المستوردة" وفق القرار.

تمرير اقتراح برلماني ليس له تأثير القانون. ومع ذلك، فقد صممته الحكومة ليكون له تأثير مخيف على حرية التعبير في ألمانيا، ولجعل تنظيم التضامن من أجل فلسطين أكثر صعوبة.

"إنه ليس قانونا ولكنه سيستخدم للقمع، تماما كما كان اقتراح مماثل بشأن المقاطعة وسحب الاستثمارات والعقوبات (BDS)"، يقول الناشط الاشتراكي رمسيس كيلاني.

وقال: "الأشخاص الذين يثيرون قضية فلسطين داخل الأحزاب السياسية الرئيسية يتعرضون بالفعل لضغوط هائلة". "وهذا يشمل بعض أعضاء البرلمان عن الحزب الديمقراطي الاجتماعي على غرار حزب العمال.

ولكن هناك أيضا ضغوط في حزب دي لينكه اليساري، حيث أصبح من الصعب زيادة التضامن مع المقاومة الفلسطينية. ويخضع العديد من نشطاء الحزب الآن للتحقيق مع القيادة.

"هذا تطور جديد. حتى وقت قريب، كان أولئك الذين لديهم سياسات معادية للإمبريالية أقلية ولكن تم قبولهم".

وفي البرلمان، امتنعت "دي لينكه" عن التصويت النهائي، في حين صوت الانشقاق العنصري عن "دي لينكه"، تحالف "صحرا فاغنكنيخت" بالرفض.

يركز معظم اليسار الآن على الانتخابات العامة المقبلة وهو حريص على تجنب الجدل. وهذا يشكل خطرا على الحركة الفلسطينية التي تواجه بالفعل قمعا وعزلة هائلين من الدولة.

يقول رمسيس: "نحن بحاجة الآن إلى مقاومة عواقب الاقتراح البرلماني ودعم المتضررين، وخاصة أولئك الذين ليس لديهم جنسية ومحامون".

ولكي نكون فعالين، علينا توسيع الحركة. سيتأثر الكثير من الناس ، بما في ذلك محاضرو الجامعات والطلاب ، بالاقتراح. قد لا يشاركوننا كل سياساتنا المعادية للصهيونية ولكنهم سيغضبون من القيود المفروضة على حريتهم في التعبير عن فلسطين.

"هذا يعني أن هناك تناقضات في الوضع يمكننا البناء عليها."

العامل الاشتراكي_ الخط الأمامي

هل وصول ترامب سيعني نهاية النظام "القائم على القواعد"؟

يحزن الليبراليون على نهاية "النظام الدولي القائم على القواعد" الذي تدعمه الولايات المتحدة ومؤسساتها – لكنه في الحقيقة بدأ ينهار منذ 20 عاما.

أطلقت إعادة انتخاب دونالد ترامب موجة صدمة في جميع أنحاء العالم. إنها تتركز بشكل خاص في الكتلة الإمبريالية الليبرالية – الدول الرأسمالية المتقدمة بشكل رئيسي في أوروبا الغربية وشرق آسيا التي تتماشى بشكل وثيق مع الولايات المتحدة.

اشتهر فرانسيس فوكوياما عندما أعلن في عام 1989 أن انهيار الستالينية يمثل "نهاية التاريخ" ، حيث انتصرت الرأسمالية الليبرالية على منافسيها. وهو الآن يتحسر على "الرفض الحاسم من قبل الناخبين الأمريكيين لليبرالية".

وأعلنت صحيفة فاينانشال تايمز أن "فوز ترامب يشير إلى نهاية النظام الذي قادته الولايات المتحدة بعد الحرب". ونقلت عن "مسؤول كبير في الاتحاد الأوروبي" قوله: "إنه أمر سيء للغاية بالنسبة للجميع ... لا أحد هو الفائز. ربما باستثناء بوتين". كانوا في حداد على ما يسمى هذه الأيام "النظام الدولي القائم على القواعد". في الواقع ، تم بناء هذا النظام من قبل الولايات المتحدة بعد عام 1945 لتوحيد الدول الرأسمالية المتقدمة تحت قيادتها كشركاء صغار في الهيمنة العالمية. تم وضع قواعدها من قبل مؤسسات مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والتحالف العسكري لحلف الناتو.

بيد أن الولايات المتحدة لم تعتبر نفسها قط ملزمة بهذه القواعد. على سبيل المثال، في عام 2002، أقر الكونغرس قانونا يجيز للرئيس استخدام القوة لمنع أفراد الجيش الأمريكي من المثول أمام المحكمة الجنائية الدولية بتهمة ارتكاب جرائم حرب.

ما هو صحيح مع ذلك هو أن "النظام القائم على القواعد" كان مجزأ على مدى السنوات ال 20 الماضية. السبب الأساسي هو سلسلة من الضربات لهيمنة

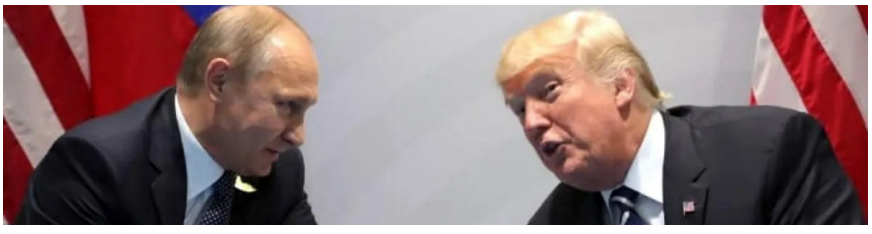

الإمبريالية الأمريكية – الأزمة المالية العالمية في 2007-2009 ، والهزيمة في العراق وأفغانستان وصعود "منافس نظير" جاد هو الصين.

كانت رئاسة ترامب الأولى رد فعل على هذه التطورات. ومن هنا جاء شعاره "اجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى". كانت طريقته هي استخدام التعريفات للتفاوض على شروط أكثر ملاءمة مع الدول – الأصدقاء والأعداء على حد سواء – الذين اعتقد أنهم يمزقون الولايات المتحدة.

سعى جو بايدن إلى تخفيف الخلافات الصغيرة التي تسبب بها ترامب بين حلفاء الولايات المتحدة. لكن من المثير للاهتمام إلى أي مدى واصل سياسات سلفه. هذا هو الأكثر وضوحا في حالة الصين ، حيث صعّد حرب ترامب التجارية ضدها.

وتقدم منظمة التجارة العالمية مثالا أقل شهرة. تم تأسيس هذا في تسعينيات القرن العشرين لدحر هذا النوع من الحمائية التي يدعو إليها ترامب. كانت الولايات المتحدة أكثر المروجين نشاطا في البداية. لكن إدارة بايدن كانت تمنع التعيينات الجديدة في هيئة الاستئناف التابعة لمنظمة التجارة العالمية، والتي تسوي النزاعات بين الأعضاء، بسبب مخاوف من أن أحكامها تنتهك سيادة الولايات المتحدة.

ومع ذلك، سعى بايدن إلى حشد حلفاء الولايات المتحدة معا من خلال حلف شمال الأطلسي لشن حرب بالوكالة ضد روسيا في أوكرانيا. في الواقع، كان حلف شمال الأطلسي يستخدم بشكل متزايد لتنسيق حملة الولايات المتحدة ضد الصين في منطقة آسيا والمحيط الهادئ.

ترامب متشكك سيئ السمعة حول فائدة الناتو. علاوة على ذلك ، من الواضح تماما أنه سيدفع أوكرانيا إلى عقد صفقة مع بوتين من المحتمل أن تترك روسيا تسيطر على الأراضي التي احتلتها.

من غير الواضح ما الذي سيفعله ترامب في المنطقتين الأخريين حيث تكون الإمبريالية الليبرالية في حالة هجوم – الشرق الأوسط وشرق آسيا. إنه عدواني تجاه كل من إيران والصين. لكن نهجه المزعوم "القائم على الصفقات" في التعامل مع السياسة الدولية، والذي يتعامل معها على أنها سلسلة من الصفقات، قد تؤدي إلى التعامل مع الصين.

لدى الاتحاد الأوروبي الكثير ليخشاه من ترامب. لقد وعد برفع التعريفات بنسبة 20 في المائة ، الأمر الذي من شأنه أن يلحق ما يسميه أحد الاقتصاديين "صدمة كلية" عالمية.

لكن عمود فاينانشال تايمز Un-hedged يوضح نقطة مثيرة للاهتمام مفادها أن "ترامب يحب استخدام الأسواق كمقياس لأدائه". "نحن ببساطة لا نعرف كيف سيتصرف في مواجهة عداء السوق المستمر للحكومة. قد يدفعه ذلك إلى نهج اقتصادي تقليدي".

وسط كل عدم اليقين هذا، هناك شيء واحد مؤكد. ستسرع رئاسة ترامب الثانية من التفتت الاقتصادي والجيوسياسي حيث تناور الدول لحماية نفسها والمساومة من أجل الحصول على ميزات. هذا سيزيد من إضعاف هيمنة الإمبريالية الأمريكية التي يريد ترامب تعزيزها.

عن جريدة العامل الاشتراكي

اليكس كالينيكوس _ ترجمة الخط

لماذا انهار الائتلاف الحاكم في ألمانيا؟

انهار ائتلاف الحزب الديمقراطي الاجتماعي الألماني وحزب الخضر والحزب الديمقراطي الحر ليصبح جزءًا من الماضي. يدير المستشار أولاف شولتز البلاد الآن بأقلية برلمانية. لكن الحقيقة أن فشل هذا الائتلاف لم يكن وليد اللحظة؛ إذ كانت شعبيته في تراجع مستمر منذ تأسيسه. هنا يقدم كارل ناويوكس تحليلًا لأسباب هذا الانهيار.

وقع الانهيار في السادس من نوفمبر، وكان السبب المباشر له الخلاف حول ميزانية الحكومة الاتحادية لعام 2025. هذه الميزانية كانت قد أُقرت مبدئيًا قبل أشهر بين الأحزاب الثلاثة في مجلس الوزراء الاتحادي. ولم يكن يتبقى سوى تسوية فجوة صغيرة نسبيًا بين الإيرادات والنفقات قبل عرضها للقراءة النهائية في البوندستاغ، والمقرر عادةً بنهاية نوفمبر.

لكن هذا لن يحدث الآن. اجتمع وزير المالية كريستيان ليندنر (الديمقراطي الاجتماعي)، والمستشار أولاف شولتز (الديمقراطي الحر)، ونائب المستشار روبرت هابيك (الخضر) في السادس من نوفمبر لمحاولة حل الخلاف. ومع ذلك، رفض ليندنر بشكل قاطع الاستدانة لسد الفجوة المالية. خلال استراحة الاجتماع، أعلن ليندنر موقفه علنًا عبر موقع (Bild.de)، مما أثار موجة من الجدل انتهت بإقالته بشكل مثير للجدل.

ليندنر سعى لإنهاء الائتلاف

كان الخلاف يدور حول فجوة صغيرة في الميزانية تُقدَّر بنحو 0.2 إلى 0.3 بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي. خلال الاجتماع الحاسم، اقترح المستشار أولاف شولتز إعلان حالة طوارئ اقتصادية مرتبطة بالمساعدات لأوكرانيا، واحتساب 15 مليار يورو خارج الميزانية الاعتيادية. لكن وزير المالية كريستيان ليندنر رفض هذا الاقتراح بشدة، مُصرًّا على التمسك بسياسة "فرملة الديون".

قبل أيام قليلة من الاجتماع، ساهم ليندنر في تعقيد الموقف بشكل أكبر عندما قدم وثيقة تدعو إلى "تحول اقتصادي". تضمنت هذه الوثيقة مطالب بتخفيض الضرائب على الشركات بنسبة 4.5 بالمئة اعتبارًا من عام 2025. هذه الخطوة كانت ستقلل تلقائيًا من المرونة المتاحة في مفاوضات الميزانية.

تشير هذه التطورات إلى أن ليندنر كان يسعى عمدًا لإنهاء الشراكة في الائتلاف. يبدو أنه أراد استغلال موقفه الصارم لتحقيق مكاسب سياسية لحزبه، الحزب الديمقراطي الحر، وكسب نسبة إضافية تتراوح بين 1 و2 بالمئة من الأصوات من خلال الدفاع عن مصالح الشركات وملاك العقارات. كان هدف ليندنر الأساسي هو ضمان تجاوز الحزب حاجز الـ5 بالمئة اللازم لدخول البرلمان الاتحادي في الانتخابات المبكرة، وبالتالي الخروج من الائتلاف الثلاثي المتعثر بأقل خسائر ممكنة.

الأسباب العميقة وراء انهيار الائتلاف

لم يكن الخلاف الذي تسبب في انهيار الائتلاف مجرد حدث عابر، بل كشف عن مشكلة أعمق وأكثر تعقيدًا. تستند "فرملة الديون"، التي أصر عليها كريستيان ليندنر، إلى قاعدة مالية تفرض قيودًا صارمة على ميزانية الحكومة الفيدرالية، حيث تحد من اقتراضها إلى 0.35 بالمئة فقط من الناتج المحلي الإجمالي. أي تجاوز لهذه النسبة يُعتبر "غير دستوري"، بينما مُنعت الولايات الفيدرالية منذ عام 2020 من الاقتراض نهائيًا.

هذه القاعدة ليست اختراعًا من الحزب الديمقراطي الحر، بل تم تبنيها عام 2009 بدعم من حزبي الاتحاد الديمقراطي المسيحي/الاتحاد الاجتماعي المسيحي والحزب الديمقراطي الاجتماعي)، وتم إدراجها في القانون الأساسي للدولة.

رغم أنها تبدو كإجراء وقائي للحد من الأعباء المالية المفرطة، إلا أن الهدف الحقيقي منها كان تقليص السياسات الاجتماعية التي تخدم مصالح الطبقة العاملة، خصوصًا في أوقات التقشف المالي. في الواقع، أصبحت القاعدة أداة لفرض سياسات مالية تُثقل كاهل الأغلبية من السكان. وإلغاء هذه القاعدة يتطلب أغلبية الثلثين في البوندستاغ، مما يجعل التغيير شبه مستحيل.

بالنسبة للحزب الديمقراطي الاجتماعي، استغل هذه القاعدة كذريعة مريحة لتبرير عجزه عن تلبية توقعات ناخبيه والنقابات العمالية أثناء وجوده في الحكومة.

عندما دخل الحزب الديمقراطي الاجتماعي وحزب الخضر في ائتلاف مع الحزب الديمقراطي الحر عام 2021، ووافقا على منح حقيبة وزارة المالية للحزب الديمقراطي الحر، كان ذلك جزءًا من خطة سياسية محسوبة.

أُسندت مهمة "مفوض الادخار" إلى كريستيان ليندنر ليُظهر كأنه المسؤول الأول عن السياسات المالية الصارمة، وفي الوقت نفسه كعائق أساسي أمام تنفيذ سياسات تخدم مصالح الطبقة العاملة. بهذه الطريقة، كان الحزب الديمقراطي الاجتماعي وحزب الخضر يأملان في تقديم ليندنر ككبش فداء لإرضاء أنصارهما، مع الاستمرار في إعطاء الأولوية لمصالح رأس المال الألماني على حساب الطبقة العاملة.

لكن الحسابات لم تنجح

وُجِه الاستياء كاملًا إلى الحزب الديمقراطي الاجتماعي وحزب الخضر. ففي غضون ثلاث سنوات فقط، بين أكتوبر 2021 وأكتوبر 2024، انخفضت نسبة تأييد الحزب الديمقراطي الاجتماعي من 25% إلى 16%، وحزب الخضر من 17% إلى 12%، والحزب الديمقراطي الحر من 13% إلى 3%. ووفقًا لاستطلاعات الرأي، تراجعت نسبة الأشخاص الذين وصفت حالتهم بأنها "راضين للغاية" أو "راضين" عن أولاف شولتز من 60% إلى 21%، وعن روبرت هابيك من 50% إلى 28%، وعن كريستيان ليندنر من 47% إلى 17%.

يعكس هذا التراجع في دعم الحزب الديمقراطي الاجتماعي وحزب الخضر داخل الائتلاف أزمة عميقة في فكرة الإصلاحية – وهي الاعتقاد بإمكانية ترويض الرأسمالية من خلال الإصلاحات.

حقق أولاف شولتز الفوز في انتخابات 2021 بوعد رئيسي يتمثل في رفع الحد الأدنى للأجور، وقد تحقق ذلك بالفعل عندما ارتفع الحد الأدنى إلى 12 يورو في الأول من أكتوبر 2022.

لكن المشكلة تكمن في أن التضخم المرتفع الذي بدأ في عام 2022 أضعف تأثير هذا الارتفاع في الأجور بسرعة. كما أن الزيادات الكبيرة في أسعار الطاقة والمواد الغذائية، الناتجة عن سياسات انتلاف إشارات المرور، أثرت بشكل خاص على الشرائح الفقيرة وأصحاب الدخل المحدود.

وساهمت سياسات وزير الاقتصاد، روبرت هابيك، المتعلقة بالمناخ، والتي اتبعت نهجًا متوافقًا مع السوق، في تفاقم الوضع.

وأثار قانون التدفئة لعام 2023، الذي كان من المفترض أن يساعد أصحاب المنازل والشقق على تغطية تكاليف تركيب مضخات الحرارة الإلزامية، مخاوف كبيرة لدى صغار ملاك العقارات. وزادت وسائل الإعلام اليمينية، بقيادة صحيفة بيلد، من تأجيج هذه المخاوف، مما خلق مناخًا من القلق.

وقد انعكست العواقب بوضوح في الإحصائيات. إذ لم تقتصر الأزمة على ارتفاع معدل الفقر في ألمانيا إلى مستوى قياسي جديد، وفقًا للتقرير الحالي لمعهد WSI القريب من النقابات، بل إن التوقعات المستقبلية كانت قاتمة أيضًا: أكثر من نصف الأشخاص في الفئات ذات الدخل المنخفض، وحتى ما يقرب من 47% من أفراد "الطبقة الوسطى العليا"، أعربوا العام الماضي عن خشيتهم من عدم قدرتهم على الحفاظ على مستوى معيشتهم في المستقبل.

الحزب الفاشي "البديل من أجل ألمانيا" هو المستفيد

حتى الآن، كان الحزب الفاشي "البديل من أجل ألمانيا" هو المستفيد الأكبر من فشل السياسات الحكومية والمخاوف المتزايدة بين الناس. في عام 2023، حقق الحزب تقدمًا كبيرًا في استطلاعات الرأي، حيث وصل إلى أعلى نسبة تأييد له على الإطلاق، بلغت 23% على المستوى الوطني.

لعب رد فعل الحزب الديمقراطي الاجتماعي وحزب الخضر دورًا حاسمًا في هذا الصعود. بدلًا من التصدي للحملة العنصرية التي قادها حزب البديل من أجل ألمانيا بدعم من هيئة تحرير صحيفة بيلد، شاركوا في لعبة "فرق تسد" وتنافسوا فيما بينهم على تقديم مقترحات بزيادة الترحيلات وتنفيذها بوتيرة أسرع.

في أكتوبر 2023، افتتحت مجلة شبيغل عددها باقتباس عن المستشار أولاف شولتز قال فيه: "علينا أخيرًا تنفيذ عمليات ترحيل واسعة النطاق." وبعد عام، ظهر رئيس وزراء حزب الخضر كريتشمان إلى جانب قادة ولايات من حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي، مثل فوست ونور وجونتر، ودعا كذلك إلى تشديد الإجراءات ضد "الهجرة".

بهذا الشكل، ساهم الحزب الديمقراطي الاجتماعي وحزب الخضر في تعزيز الحملة التي ألقت باللوم على تدفق اللاجئين باعتباره السبب الرئيسي لانعدام الأمن في البلاد، مما جعلهم، من حيث النتيجة، مساهمين غير مباشرين في نجاح حزب البديل من أجل ألمانيا الانتخابي.

التسلح والبؤس الاجتماعي

قائمة إخفاقات الانتلاف الحاكم طويلة جدًا لدرجة يصعب حصرها. فرغم وصفه لنفسه بـ"الانتلاف التقدمي"، لم يتمكن حتى من تنفيذ مشاريع بسيطة وغير مثيرة للجدل، مثل تقنين الإجهاض.

لكن هذا الفشل يعكس نظامًا منهجيًا. فالحزب الديمقراطي الاجتماعي وحزب الخضر يضعان تعزيز تنافسية الرأسمالية الألمانية في صدارة أولوياتهما. وجاء رد فعلهما على تصاعد التحديات العالمية بإطلاق برنامج تسليح ضخم. حتى أن وزير الاقتصاد، روبرت هابيك، وصف نفسه بأنه "وزير التسلح." كما ضخت الحكومة مليارات اليوروهات لدعم شركات مثل ThyssenKrupp وTSMC وTesla أو لجذب استثماراتها.

الميزانية العسكرية النظامية واصلت الارتفاع، بالإضافة إلى إعلان شولتز في عام 2022 عن تخصيص 100 مليار يورو لصندوق خاص لدعم القوات المسلحة الألمانية. وقد قوبل هذا الإعلان بتصفيق حار من حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي/الاتحاد الاجتماعي المسيحي. ومنذ ذلك الوقت، لم يجرؤ أحد في الطبقة الحاكمة على التشكيك في هذا "الميزانية الموازية"، بما في ذلك وزير المالية ليندنر.

في المقابل، وُصِف الإنفاق على احتياجات المواطنين بأنه مجرد عبء مالي. إذ تشهد النفقات على المستشفيات، ودور رعاية الأطفال، والمدارس، ورواتب القطاع العام تقليصات كبيرة.

صحيح أن هناك استثناءات، لكنها لم تكن كافية لتحسين صورة الائتلاف، لأن أولوياته كانت دائمًا في مكان آخر.

أحد الأمثلة البارزة كان تقديم تذكرة الـ9 يورو في صيف عام 2022. بيعت هذه التذكرة 52 مليون مرة، مما مكّن تقريبًا جميع السكان من استخدام الحافلات والقطارات المحلية والإقليمية بطريقة ميسورة التكلفة وصديقة للبيئة.

ومع ذلك، واجهت التذكرة انتقادات حادة من وسائل الإعلام حتى قبل طرحها، بدعم من مسؤولين داخل الائتلاف نفسه.

السبب بسيط: مثل هذه التذكرة تفيد المناخ وتخدم غالبية السكان، لكنها تحتاج إلى تمويل حكومي. وهذا التمويل كان يُفضل أن يُوجَّه إلى التسلح أو دعم الشركات الصناعية.

النتيجة: المشروع الأكثر نجاحًا الذي قدمه الائتلاف الحاكم ألغي بعد ثلاثة أشهر فقط.

ما القادم؟

هناك درس واحد واضح يمكننا أن نتعلمه من فشل الائتلاف الحاكم: الاعتماد على إصلاحات أو تشكيل ائتلاف تقدمي ينتهي دائمًا إلى طريق مسدود. تحسين ظروفنا المعيشية لا يعتمد على الحملات الانتخابية، بل يتطلب نضالًا طبقيًا حقيقيًا.

هذا ما يجعل الوضع الحالي يحمل في طياته قدرًا من الإثارة. فحملة الانتخابات الفيدرالية تتزامن مع مفاوضات الأجور في القطاع العام. بالإضافة إلى ذلك، قد يؤدي الإعلان عن إغلاق ثلاثة مصانع لشركة فولكس فاجن إلى اشتعال نضالات دفاعية يمكن أن تمتد آثارها إلى ما هو أبعد من القوى العاملة المتضررة.

لا ينبغي أن تكون نهاية هذا الائتلاف سببًا للقلق بالنسبة لليسار. بل على العكس، هي بداية لجولة جديدة من النضال الطبقي الذي قد يفتح المجال لتغيير حقيقي.

نُشر في Revolutionäre Linke

الخط الأمامي
لسان حال تيار اليسار الثوري في سوريا
منظمة اشتراكية ثورية تأسست مع الثورة الشعبية عام 2011
Revolutionary Left Current in Syria · Şepêla çep a şoreşger li Sûriyê · تيار اليسار الثوري في سوريا
WWW.REVOLEFTSYRIA.ORG
INFO@REVOLEFTSYRIA.ORG
@ REVOLEFTSYRIA
السعر: 2000 ل.س